بول تيز



# صيف لاهب في مكسيكو

ترجمة

نسيم واكيم يازجي

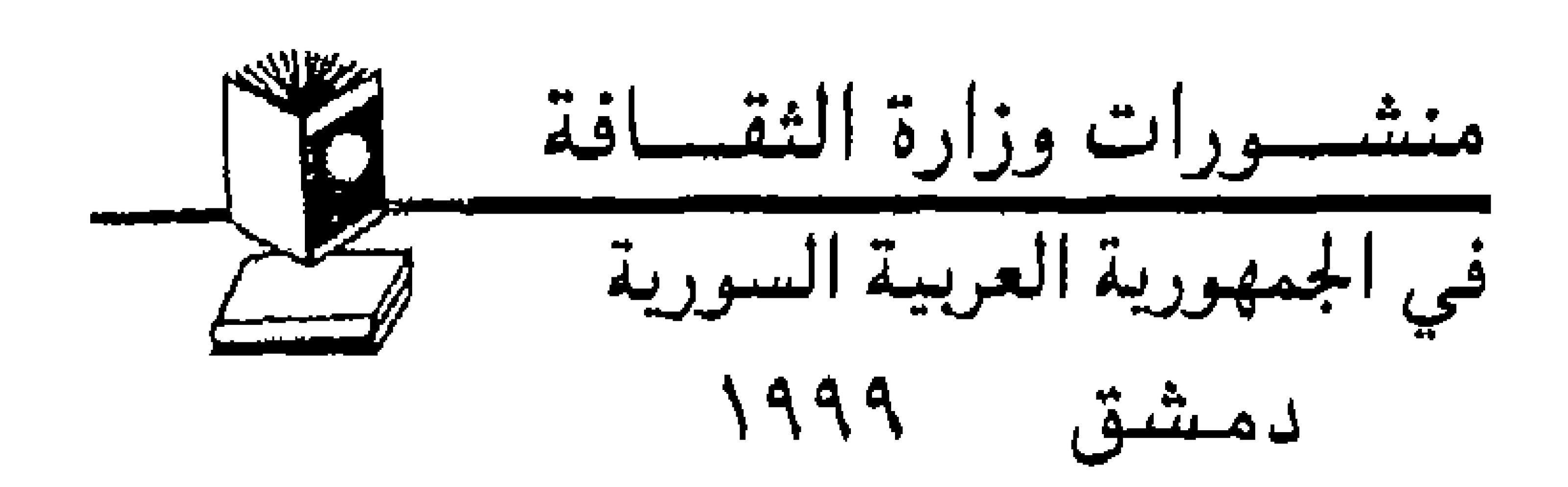
الإشراف الفني زهير الحمو

بول تيز

# صيف لاهب في مكسيكو

ترجمة

نسيم واكيم يازجي



منشورات وزارة الثقافة

في الجمهورية العربية السورية

دمشق ١٩٩٩

العنوان الأصلي للكتاب:

# ÉTÉ BRÛLANT
# À MAXICO

صيف لاهب في مكسيكو = ETE Brulant A Maxico / بول تييز؛
ترجمة نسيم واكيم يازجي. - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩. -
١٢٧ ص: صور؛ ٢٤ سم.

١- ٨٤٣ ف ت ي ي ص ٢- العنوان ٣- العنوان الموازي
٤- تييز ٥ - يازجي
مكتبة الأسد

الايداع القانوني: ع - ١٧٤٧ / ١٠ / ١٩٩٩

# مغامرات

# المنتدى

## الأول من تموز

بدأت العطلة الصيفية منذ عشرة أيام، وها أنا أشعر بالضجر. فقد ذهبت أولاً، إلى المسبح وإلى ملعب البولينغ، مع أترابي. ولثلاث مرات، انفقت القروش التي ربحتها بعرق جبيني خلال اوقات الفراغ من بقالية شارع الاوليفار. لقد طار ادخار ثلاثة أشهر في وقت قصير.

البارحة مساء أخبرني أبي أني سأعمل في منتدى الأوزرونت، وهو واحد من آنق منتديات مكسيكو، كما أخبرنا غوميز، أحد جيراننا، والذي هيأ لي عملاً هو جمع الكرات. وفي الخريف لن أرجع إلى المدرسة.

فإن أرضيتهم، بقيت في هذا المنتدى، مع زيادة في الأجر بسيطة. وإلا اضطررت للعمل في شارع الاوليفار، أو في بقالية أخرى، أو في ورشة بناء، كوالدي. إذ أنه منذ الهزة الأرضية التي ضربت المدينة في العام الفائت، لم يتعطل عن العمل إلا نادراً.

أنا، لا أرديد العمل معه. أحبه كثيراً، ومنذ عودته إلى كسب بعض النقود، قلت عصبيته، وتراجع قلقُهُ، لكني لا أرغب في أن أقضي وقتي معه. فليس أمراً مستهجناً أن يتوجب علي ترك المدرسة في الرابعة عشرة من العمر. في حين تبدأ محاولة اكتشاف أناس آخرين، غير أهل البيت، الحي، أو معلبات البقالية المغبارّة.

كان نجاحي في الصف مرضياً، لكن فلوسنا نفدت بسبب أخوي الصغيرين

وعمل أبي الهزيل والأجدب جداً. على كل حال، أنا ضجر ومكروب لتركي المدرسة. فهل يفرج النادي عني، ربما؟ سأبدأ العمل غداً. والغريب أني أشعر بنفاد الصبر.

يقع المنتدى في حي جميل، بعيداً عن القمامة المنتشرة من الآكواخ على الآرجح أو عن تلوّث مركز المدينة الذي لايطاق. يقول غوميز أن أعضاء الاوزونت بخاصة أمريكيون من الولايات المتحدة، أو اروبيون. . . على كل حال من الأغنياء. ربما كان الأمر يثير الفضول.

المزعج أن لعب دور الخادم لايعنيني. لست واهماً: فبعد مباريات كرة المضرب، يرث جامعو الكرات طبعاً ماتبقى منأعمال السخرة: غسل الملابس، جز المروج، وغير ذلك. وتدبر أمرك للتبسم دونما توقف.

هذا الوضع لايشدني. لكن لاخيار لي.

**الثاني من تموز**

في كيسي، حذاء جديد للتنس، قماط، سروال قصير، كلها نظيفة جداً. أبدل ثيابي هناك؛ ثمة حجرة صغيرة لحفظ ألبسة المستخدمين.

في ذلك اليوم، أخذني غوميز معه بالسيارة. ومنذ الغد، سأذهب بالحافلة العامة: أبدل الحافلة ثلاث مرات فأكثر من أربع ساعات مسافة الطريق، ذهاباً وإياباً، فضلاً عن ازدحام الدرب. مكسيكو مدينة واسعة وتولاني انطباع أن فيها سيارات أكثر من الناس. لكن هذا لايحول دون أن يتهالك الناس لتسلق إحدى الحافلات. المترو لايصل إلينا. قيل إن هذا لعامين فقط، لكنني لاأصدق. حيي جزء من مدينة الصفيح، فهذا النوع من الوعود لايتحقق أبداً.

لاتودّ أمي أن تسمعني أقول أقوالاً كهذه. تدّعي أني غير عاقل، ينقصني الاحترام، الصبر، الجرأة، وربما كل مالاغنى عنه للفتى لينجح في الحياة.

ولئلا أكدرها، أكتب مذكراتي. وهكذا أطلق مكبوتاتي كي لا أسبب لها الأسى والهم. وإلا، لاحسست بالاختناق.

ويومياتي تقيني الكثير من الملال. هذا أمر مفضل، لكني أضيق ذرعاً بالناس، بأفراد أسرتي، وأصدقائي أبناء جيلي. أتحدث مع فتيان آخرين، وطبعاً ألعب معهم، لكن لبرهة لاتطول. وكذلك مع الفتيات.

زد على هذا، أنها الحلقة مفرغة؛ لضرورة البقاء وحيداً، والانكباب على يوميتي، وتجنب كل الناس، وبخاصة من كان بعمري، أحسست بافراط أني أكبر من اربعة عشر ربيعاً. بالتأكيد، ليس هذا مفرحاً: فهو يقطعني عن العالم، ويفصمني عن الحياة. ليس سهلاً أن تعيش سعيداً إن قضيت وقتك في محاكمة الغير؛ فهذا يفسد اللحظات الطيبة، وينغص الأفراح التي يمكن التمتع بها في تلك الأيام، كان هذا يتفاقم فأنا أحسد أولئك الذين يتابعون المدرسة دون كثير من المشكلات، أحسدهم وكأنهم سرقوا مني شيئاً. والآخرون، الأجراء، المهرة في الحروف البسيطة، أحس أنهم يهرفون، وأنهم يتمتعون لمعرفتهم أني منحصر مثلهم، أنا مضطر للاعتراف أن أساي يزداد بمرور الأيام.

عندما أخطرني والدي بقراره، أول البارحة، ركنت إلى الزاوية التي أقتسمها مع أخوي، جوانجو ولويزيللو. أعدت قراءة ماكتبت فبدا لي تافهاً وغير مجد. أحرقته، وقررت أن أبدأ من الصفر. وهكذا، لم أسمح لنفسي بالذهاب.

المنتدى حديث، مؤلف من طابق أو طابقين فقط، محاط بحديقة أوسع بالتأكيد وأكبر من حارتي كلها. فيه ثلاثة مسابح، وحوض للصغار، وعشر باحات لكرة المضرب.

أعدها وأسأل غوميز عن عدد لاقطي الكرات هنا. يضحك: المباريات

لاتحصى أبداً، فيجب بخاصة أن أقدم «خدمات أخرى».

هذا بالضبط ماعتقدت أنه عمل المستخدم.

قلت لنفسي إني فعلاً أكره غوميز. فلدى رؤيته، تعتقد أنه ينفق نصف أجرته ثمن دهان شعره، والباقي ثمناً لربطات العنق. يتحدث بطلاقة، رغم هيئته الخادعة هو الذي أقنع أبي بأن أبدأ هذا العمل. وحسب تأكيده، ثلاثة ارباع فتيان مكسيكو يتمنّون العمل في المنتدى. ويكرر:

ـ تعرف، ليماس، عليك أن تشكر لي صنيعي. إنها لمساعدة كبرى...

أكره هذا اللقب الذي ألبسني إياه، ببلاهة بحث. ولا يناديني إلا بهذا الاسم، حتى على مسمع أهلي.

هو لايفعل شيئاً لوجه الله: أنا أعلم أن أبي، ليشكر له فضله، أصلح له مجاناً سقف تخشيبته. قرابة يومي عمل. فضلاً عن إكراهي على عرفان الجميل. يقدمني للمستخدمين الآخرين. عمال الحدائق، الخدم، نساء التنظيفات، ومدربي السباحة. بعضهم أنيس، وآخرون كئيبون. على كل حال، فهم لايهمونني كثيراً. كما عرفني إلى لاقطين آخرين؛ ريكاردو الفلاني وبول العلاني. هما شابان في الثامنة عشرة من عمرهما. لم ارتح لهما. أنا أكره أن أعمل مع الكبار. يعتقدان أنهما خبثاء يجعلون حياتك جحيماً. لقد اعتدت: قبل البقالية، غسلت في مطعم، حملت الأكياس في متجر كبير، لمعت أحذية، بعت الفتيان البوظة، قوارير عصير الفواكه، خبيصة الذرة البيضاء وحتى سكاكر بشكل عصافير من الورق المقروض. إني أعرف أن الكبار لايثيرون سوى الازعاج.

لفترة ماشدني السيد سانتيني، المدير الإداري. هو ضخم القد، رمادي الشعر، هيئته مريحة. يشبه رؤساء العمال في ورشات عمل أبي، ومدراء البقاليات، وباعة المفرّق الذين يزودونني ببضاعتي. قائد صغير، مغتر بشخصه، من أسوأ الأرومات، اولاء الذين لاتجوز الثقة بهم. اهتممت بأن أدل إلى تهذيبي،

وتقديري، تماماً كما كانت أمي تريد أن تراني. إنه الأسلوب الوحيد المقبول لصبي مثلي.

قاس قامتي، تفحصني كما لو كنت خارجاً من صندوق القمامة، وبجفاء سألني إن كنت أعمل أعمالاً خاصة. اجبته بالإيجاب. حالاً فكر بشيء آخر: وصرت واضحاً.

**التاسع من تموز**

انقضى أسبوع في المنتدى.

اليوم، عيد: يحتفل الزبائن الأرجنتينيون باستقلالهم. والآخرون، المكسيكيون، الهولنديون، البابانيون، يساهمون ايضاً؛ إنها ذريعة جيدة للشرب والرقص في الرابع من تموز احتفل الامريكان وفي الرابع عشر يحتفل الفرنسيون. انهم لايضجرون أبداً.

في كل حال، هوذا الانطباع الذي يسعون لإعطائه لأنفسهم. لكن حسب رأيي، هم لايعرفون كيف يقضون وقتهم جيداً.

يصل الرجال متأخرين، ففي الرابعة او الخامسة تقريباً من بعد الظهر، ينتهي عملهم يستحمون، يناقشون، يشهدون برامج الرياضة في التلفزيون. ويبدأ البعض مباراة بكرة المضرب.

النساء يصلن في الحادية عشرة، صباحاً. بعرباتهن الخاصة. لم آلف هذه الأسر، عند كل عائلة على الأقل عربتان. وربما ثلاث أو أربع إن كان الأولاد كباراً.

يسبحن، يلعبن كرة المضرب، يلازمن الهاتف ساعات. كلهن يتجنبن البقاء طويلاً في عين الشمس. لأن هذا يجعلهن يشبهن النساء الهنديات في الأحياء الأخرى. أحياناً أقول لنفسي إن ثيابي لاتهدف فقط لأن أكون نظيفاً، بل أيضاً

الإشارة إلى لون بشرتي النحاسي.

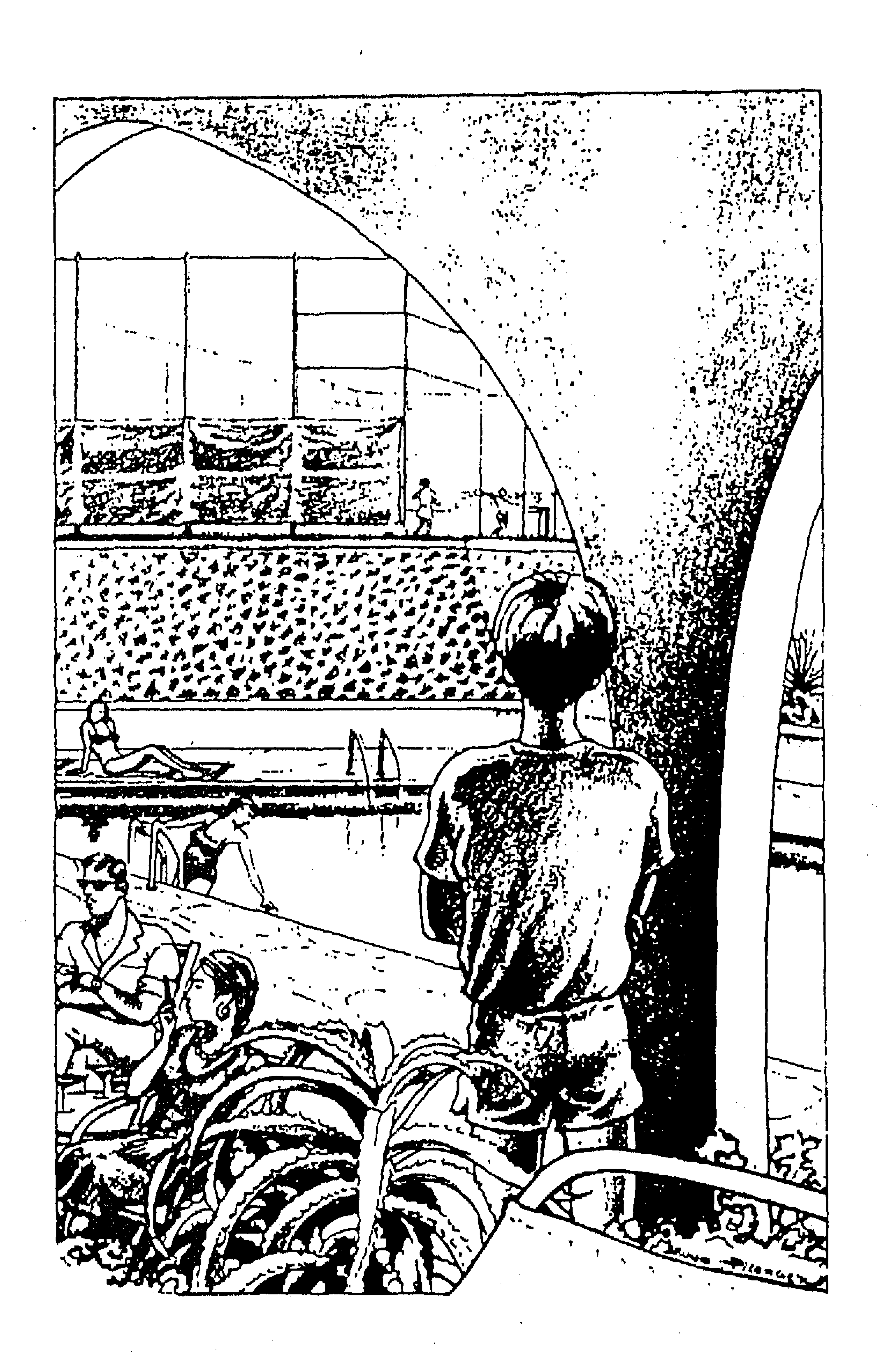
بعامه، تبدو النساء أكثر إلحاحاً وتطلّباً ومشاكسة من أزواجهن. يجب الركض بدون توقف، الإسراع للبحث عن عصير الفواكه، والكحول، والسجائر، ومنشفة نظيفة، وقمغم عطر.

بقي الأبناء، من السنة السابعة حتى العاشرة، يرتبكون، يتلعثمون، يغطسون دونما توقف. عملياً لايخرجون من الماء. أما الكبار فيضجرون؛ يؤهلهم عمرهم لقيادة السيارات، فيقضون وقتهم في التنقل من منتدى إلى آخر. ينتظرون المساء، وقت أن تفتح علب الليل أبوابها.

أما أمّي وصديقاتها فقد أتخمن بالمسلسلات المستمرة في التلفزيون؛ أثنتي عشرة ساعة أو خمس عشرة في اليوم. تتوزع على عدد من الأقنية. اجمالاً، لاتتغير القصة أبداً. الشابة الحلوة والتقية والشريفة والجسور والله يعرف ماذا أيضاً، تصارع في ظروف هائلة (إنها بالتأكيد فقيرة بقدر ماهي حلوة، وفاضلة بقدر ماهي نقية، الخ). أخيراً، عندما تنجح باصطياد طبيبها المحبوب (أو مهندسها القدير أو معماريها الظريف) وتدخل بعد لأي البيت الواسع، بسجاجيده السميكة وثرياته المعلقة في كل مكان، تتواجد وجهاً لوجه أمام حماتها المخيفة التي توبخها لتربيتها السيئة. يتكرر السأم على الأقل لـ ١١٧ حلقة تكميلية.

وأنا أقدر الآن أن أدير فيلماً ليراه أولاد الشابات البلهاوات. إنهن يتعلمن تزجية الصباح كله في اختيار الثوب الأصفر ام الأخضر. ويقررن أين سيقضين العطلة القادمة في فلوريدا أو الشاطىء اللازوردي. وفي اي غرفة من غرف البيت الثماني عشرة، سيوضع التلفزيون الخامس. صدقاً، إن هذه المسلسلات تغيظني، لأنها وهمية: كثير من الدراهم، طيش ولامبالاة سهلة... والآن، لم يعد هذا يبدو لي غير قابل للتصديق... وناس النادي هم الذين يسخطوني.

أنا واضح أمام الزبائن وأمام سانتيني. المهم التقاط كراتهم، جلب الصحيفة أو الذهاب للبحث عن منشفة اسفنجية، والاّ أوجد أمام عيونهم.



أعترف أنهم مهذبون. لاجامع يجمعهم بصخب الا وليفار أو الصوت القاطع والمهيمن لمستخدمي المصرف، الذين أمسح أحذيتهم عند خروجهم من المكاتب. في النادي يكلف الخادم بإتمام الجملة، وأحياناً (أحياناً!) يخاطبوني «من فضلك». في الحق، إنه لتهذيب آلي بحت فلافرق إن كنت إنساناً آلياً، قرداً مدجناً، أو عبداً بسيطاً.

في المساء، استطيع الحديث مع أهلي بهذه الأمور يهز أبي كفيه. وتوضح لي أمي أني محظوظ. هكذا، ليس من سبيل لأن أنازع أحداً. إنها ترتاب بطبعي الجلف.

في كل يوم، تزداد رغبتي في أن أدفع هذا النوع من الناس إلى الماء، وتسميم ويسكي زوجاتهم وأن أنزل ضربة قدم متينة بأولادهم، على الأقل اولئك الذين لايقضون وقتهم في تعلم الجيدو وتمرين عضلاتهم بالرياضة في هذا الأسبوع قاومت محاولتين. كان يمكن أن تجلبا لي ازعاجات. كانت المرة الأولى على ضفة المسبح. ولا شاب في الماء. فقط فتية وفتيات من عمري، يصخبون، يتراكضون، يتدافعون حول كرة كبيرة بلاستيكية. الطقس قائظ. فخلال عشرين ثانية، كان باستطاعتي أن انضو ثيابي وأغطس. لكن هذا محرم علي، طبعاً؛ اشتعلت رغبة في تحقيق هذا. بدا لي أني أشعر بالماء الرطب ينزلق على جسمي. لقد أمرضني هذا الإحساس.

رأيت علبة سجاير فارغة تسقط في الماء، قرب الشط، قرفصت لاسحبها من المسبح؛ بللت يديّ، قبضتيّ وذراعيّ. كان هذا شعوراً لطيفاً جداً. وأيضاً كبتاً مخيفاً. نهضت، وابتعدت: كنت ارتعش، والعرق يغمرني. بعد يومين، نسي أمريكي محفظته في غرفة حفظ الثياب. كنت وحدي، فتحتها فيها مبلغ يعادل كل ماقبض طيلة الصيف. لامجال للتفكير بالسطو عليه: فللحال سيرتابون بي. بقيت النقود في قبضتي برهة لابأس بها. ومرة أخرى ارتجفت يدي.

بعد هذا، ازداد كرهي لأعضاء النادي.

# الميت

### العاشر من تموز

في المنتدى، كما في الكثير من المتاجر والتعهدات، يقبض المستخدمون أجورهم نقداً، مرة في الأسبوع. الفتيان امثالي لا يمتلكون حساباً في المصرف لكن في كل حال، كثير من أبناء حي الصفيح ـ ومنهم أبي ـ لا يعرفون كيف يستخدمون دفتر الصكوك. فضلاً عن أنهم لا يقبضون ما يكفي من النقود ليفكروا بهذا الأمر، إذن هو لا يعنيهم. تذهب أجورهم في الأغلب لايفاء الأسابيع السالفة.

في نهاية النهار، سلمني سانتينيي المبلغ الذي سجل لي. ليس المبلغ كبيراً، لكنه أفضل من لا شيء.

أنا فرح، فاوراق العملة في يدي، لكنني مضطرب ايضاً: الأجر الأول الحقيقي، الذي حدثتني أمي عنه كثيراً: «وأخيراً، بابلو، لم تعد فتى صغيراً. انتهى عهد الأحلام».

آه نعم.... لا مدرسة أيضاً.... وهذا يخيفني بعض الشيء. من ثم، إنها أجرة خادم، ينفقها هؤلاء الأطفال بهدوء.

أمي توبخني لهذا التعقيد. تفترض أني لن أكون سعيداً، تقول إني غير خليق بقبول الحياة كما تأتي.

أخيراً، قبضت أجرتي. سأعطي أمي منه قسطاً وأحتفظ بالباقي من أجل السينما، والحلوى، والكتب.

سلكت طريقاً موجزاً. أستعير أرضاً بوراً ترجع إلى زمن الهزة الأرضية. وهنا، حاصرني راوول وريكاردو.

- كان علي أن احترز: في حيي، أنتبه لكل أمر. لكنني كنت أفكر بشيء آخر.

- ماذا تريدان؟

سؤال غير مجدٍ، أفهم تماماً القصد.

- أنت تعرف القصد. هات دراهمك.

- لا!

- يرميني ريكاردود بابتسامة احتقار.

- أأكسر لك ذراعك؟

خلال ثانية، فكرت أن أواجه الخطر. عندنا، اصغر مبلغ يعدّ ضخماً. لكني مقتنع انهما على أي حال سيأخذان الدراهم من جيبي.

- هي ذي...

مددت لهما الأوراق النقدية. عدّها ريكاردو بسرعة، أخذ نصفها، وأعاد الباقي.

ـ تقدر أن تحتفظ بهذا، أيها الولد.

عـاجلت وأخـفـيتـهـا عن الأنظار، ثم انتظرت مـايلي، مـقـتنعـاً أنهـمـا لـم ينتهيا. . . احتفظ بهذا والأسبوع القادم، نريد الشيء ذاته. . . .

أهز رأسي، صارفاً أسناني. يصفعني ريكاردو.

ـ الشيء ذاته! وهكذا كل أسبوع، تقدر أن تعتبر نفسك محظوظاً إذ نترك لك هذا المقدار.

لم اردّ. رغبت في قتله.

لا تكلف نفسك إعلام غوميز، ولا سانتيني. فهما يعرفان جيداً ماذا يحدث مع المستخدمين الجدد. فإن وقرت آذانهما، سترمى في الباب أما نحن، يعرفنا السيد سانتيني. ولن يعترض. مفهوم؟

لم أجب. يهددني بقبضة يده.

ـ نعم. . . مفهوم. . .

ـ أما غوميز، فله نصيبه، وهو إلى جانبنا.

ـ نعم. . .

ـ وإن تحدثت إلى أهلك، سيحكم غوميز أنك تهرف، لا تعرف ماذا تقول. وسيرتب الأمر لطردك. إذن اكتفِ بما تُرك لك. ليس الأمر سيئاً لتعيس مثلك.

– لن أطلع أحداً!

يربت على وجهي بهيئه من يحميني كذباً.

ـ خلال الصيف فقط، ايها الشقي. وإن بقيت أكثر من ثلاثة أشهر ستصير جزءاً من النادي. في الحق، لنا حصتنا. ونترك لك قروشاً حلوه.

ابتعدا هازئين وعدت أنا نحو محطة الحافلة. رغبت في أن أبكي. لست سوى صبياً، وهذا يثبط عزيمتي. أما فكرة أن أدفع كل أسبوع ثمن «حمايتي» فقد قززت نفسي بعمق وأغضبتني.

الأمر موضع شك. الاوليفر يدفع لشرطة الحي. وأبي، في الورشة الجديدة، ينقد معلمه قسطاً لا بأس به من أجرته الأولى. وحتماً يتوجب على غوميز نفسه أن يدفع قسماً من ربحه (مما يأخذ من راوول وريكاردو) إلى شخص آخر... لا شك، هو سانيتني. وهكذا دواليك، وإلى ما لا نهاية...

هكذا يتم الأمر. ففي نهج الابتزاز والسطو، ليس سوى النهش والدفع ثمناً لراحتك، تقبض لتدفع. يدفع لك لتدفع لغيرك. هو عالم البالغين...

أتذكر المدرسة. بالحنين إلى الماضي؛ ففي الصف، كنت أشعر بالهدوء، بالحماية، كنت محمياً فعلاً. أستطيع أن أحلم. وأيضاً، لأول مرة وباحتقار أقول: المدرسة هي الشرنقه التي لا تحتاط جيداً لما يخبيء لك الواقع.

**الحادي عشر من تموز.**

أعطيت أمي ما بقي لي من أجري. ولم أحتفظ لنفسي بأي فلس. وقلت لها إني صرفت حصتي.

وبختني: كان علي أن أستاذنها بأن لا احتفظ لنفسي بكل هذا. . . فلكل بيزو حساب.

في رأيها، هي على حق. لا ترتاب أبداً في شيء بالنسبة لها «الابتزاز والسطو» غير موجودين. عالمها بسيط، نظيف. لا خبث، ليس سوى سوء الحظ، أحياناً. تتصور ان الانتظار كاف، ريثما يتعب سوء الحظ، ويرحل ليطرق باب الجيران.

وأنا أيضاً، أنتظر، لكن ليس لنفس الأسباب. انتظر أن أكبر، أن يصلب عودي، آنئذ، سأقدر أن أعض رقبة سوء الحظ، وأن أتصدى لهؤلاء الأنذال الذين يبتزوني دون أن يرف لهم جفن.

والدي مطلع على هذه الأمور. فحياته كلها، عمل وأداء، ثم ابتُز وأعمل، ثم أعمل وابتُز. لذا يبقى غالباً ساكناً. يرتاح، يحاول الاسترخاء. ولا يحدث أمي بشيء من هذا. يعرف أنها لن تفهم، وهو لا يريد ايذاءها.

مثله، أصمت. أفضل أن أتحمل تأنيب أمي دونما جواب. ولا أفوه بشيء لأبي. لئلا يأسف لحالي، ويبكي بلا داع. بالتأكيد، يقرّبني هذا الوضع منه. أفهمه أحسن. لكن يخيفني بعض الشيء، وربما يرعبني: التفكير أني سأصير يوماً سكوتاً مثله، منهكاً مثله. . .

في ذاك المساء، وصل اخواي الصغيران من المركز. استغلاّ العطلة، لمسح الأحذية طيلة النهار، ايدٍ سوداء واوجه طفلة تعبة. كانا فرحين بالقروش التي ترنّ في الجيب.

سيصيران إلى حالي. مثل سلّم آلي، سلّم خيالي، يصعد

وينزل في وقت واحد. يصعد عند الكبر، اشتداد العود، تكدس التجارب. لكن في الحق. ينزل، لأن هذا لا ينفع في شيء؛ فلا تقدم فعلي بل تتراجع الحياة كلما دامت.

**الثالث عشر من تموز**

عند وصولي أمام المنتدى، ابصرت غوميز. يصف سيارته، في المرأب المخصص للمستخدمين. ويترجل ليأمر بتلميع حذائه.

انه يقوم بهذا العمل كل صباح. يكاد يكون مهووساً، ألحظ تلقائياً ماسح الأحذية: فتى في عمري، بشعر أشقر كثيف وثياب رثة، لكنها أقرب إلى النظافة. يُظن أنه واحد من أبناء الأغنياء، متنكراً. لكن أحداً لا يمزح بأشياء كهذه. انفه أمام الحذاء ويداه يحرقهما الدهان. يبدو لي بغموض أني رأيته في هذه النقطة.

أهز كتفي، وأعود لأركز انتباهي على غوميز. فأنا أمقته جداً. لو أستطيع أن أثار لنفسي. . . . هل أثقب عجلات سيارته، أأسحق متراسه، يستحسن انتهاز فرصة أفضل، لئلا يقدر أن يشك بي.

أسعى لإخفاء حقدي عن المستخدمين الآخرين، لكني لا أنجح. إنهم يخمنون ما يحدث (إنها الممارسة التي خضع لها جميع لاقطي الكرات. البعض يضحك هازئاً، ويهز البعض المناكب، ويوصون بالصبر.

الصقالة مقلوبة رأساً على عقب. يهيء مراسلو مجلة فخمة مقالة حول نادي الاورزونت. . . . هم أربعة أو خمسة، مزودون بآلات تصوير ضخمة، ذات ركائز، وأجهزة إنارة. المنظر خلاّب. احس أني اتنزه في هوليود.

لكني لم أحظ بسانحه لأراقب عن كثب. هم يبعدون كل الناس. النساء الأكثر أناقة، الأكثر تعاظماً، الأكثر استخفافاً وزرايه، يمتن رغبة في أن يوجدن على صفحات المجلة الشهيرة الصقيلة، مطليات بالمساحيق ومعتمرات القبعات

المجنحة. يجب الركض إلى الجهات الخمس دفعة واحدة لإرضاء هذا الصف من عارضات الأزياء.

نهار متعب جداً. سانيتني وآخرون يقضون الوقت في مناداتي من الأعلى. ومع غوميز تنازعت نزاعاً عنيفاً، لتوبيخي بسبب عدم طاعته بسرعة كافية.

أجهزة التصوير تئز في كل مكان. لمرة أو مرتين، شعرت بأني فوق، لكني افتقد الوقت لأحقق هذا. اللعنة.

أخيراً، في المساء، وُفقت إلى الحديث مع أحد الصحافيين، لطف زائد ولهجة ساخرة. أحذيه صفراء مكسيكية الزي ووجه طويل كوجه حصان. سألته عن اسم المجلة.

- سيودادس.

- متى تصدر؟

- مرة في الشهر. والعدد القادم موعده الخامس من آب.

- وسنرى الصور فيها؟

- لم نقرر بعدُ. فهي ستتأخر إلى أيلول أو تشرين أول.

تركت المنتدى بين المتأخرين. فقد توجب تنظيف ملاعب كرات المضرب، حيث كان الصحافيون قد نظموا أحجية من فوضى الكرات، والمضارب والقوارير عديدة الألوان.

تبدأ الظلمة، أحث الخطى.

قرب محطة الحافلة، احسست أن نطاقي ارتخى. أتوقف، أنزل الحقيبة التي تضم ألبستي البيضاء. أضع ركبة على الأرض.

محرم على الفقراء أن يقطنوا في هذا الحي ذي العمارات الضخمة، المحاطة بالاشجار، والواجهات الفخمة المصنوعة من الفولاذ والزجاج. عادة يسكن

أكثرهم في دارات خاصة، متميزة بواجهات تثير الفضول، والآجر الأحمر القاتم، والمزدان برسوم معقدة تقليداً لمقرنصات الكاتدرائيات ذات الأعمدة والصور الظليلة المتكلفة لأصنام الأزتكيين(١) القديمة.

هنا، حيث أقف، سياج سميك، أعلى من قامتي، يخبيء حتماً عمارة من هذا النوع. ألحظ شيئاً ما. شكلاً مريباً. حزمة طويلة غير مرئية تقريباً تحت الورق.

أقترب، أدرك أن أمامي جسد رجل.

لمحه عين دائرية حولي: لا أحد. قبضت الجسد وشددته إلي، بحيث تحرر الوجه والصدر.

أتعرف إلى وجه غوميز الأدكن. كان على صدره ثلاث نقاط كبيرة من الدم. لقد طعن بخنجر، ومات.

لم أتحرك. جمدت في مكاني، غير قادر على استيعاب الأمر. دام هذا الوضع برهه من الزمن، ربما ست أوسبع دقائق، خلالها أطبقت العتمة.

تصل عربة، مضاءة المصابيح. انتصب بقفزة، استند إلى السياج وبحركة غريزية ألصقت يدي على وجهي.

عبرت العربة. لم يلحظ السائق شيئاً. ومن جديد يخيم الظلام.

قبالتي، على الرصيف الآخر، سمح لي الوقت أن ألحظ طيفاً رقيقاً، ساكناً، نصفه غارق في الظل. كان ماسح الأحذية ذو الشعر الأشقر الذي رأيته يقبع على ركبتيه أمام غوميز، منذ ساعات.

تلاقت نظراتنا، للحظة. لا يفصلنا سوى الشارع المقفر، والسكون والخوف. ثم، ابتلعته الظلمة.

* * *

---

(١) نسبة إلى الشعب الأزتيكي الذي استوطن المكسيك وأمريكا الوسطى - المترجم.



# الشرطة

**الرابع عشر من تموز**

لم أكتب شيئاً آخر البارحة مساء. لقد هزني جداً ما رأيت.

ما قلت شيئاً لأهلي. لئلا اقلقهم؟ أو لئلا يسحبوني من النادي وهذا يعني العودة إلى بقالية أوليفار أو، وهذا أسوأ، أيام طويلة من العمل في ورشات البناء، حيث يعمل أبي؟ وعلى الأرجح أيضاً لأن هذه القصة أرعبتني وأفضل أن اتبصر قبل أن أحدث عنها. بخاصة أن أخفي أني أول من اكتشف الجثة.

بعد ليلة ليلاء، نهضت مضطرباً، وما يزال الآخرون نائمين.

أخذت عبوتين من البلاستيك وذهبت لأجلب الماء من المنهل الواقع في أعلى الشارع. عادة، أترك هذه الخدمة لأخوي الصغيرين. لكن كوني لم أنم، اضطررت لتنشيط طرفيّ السفليين.

لا شيء أثقل من الماء. لقد مزقت العبوتان ذراعيّ. الماء الجاري، المجارير، القنوات، لا شيء من هذا في الحي. ليس سوى الوعود: سيصل الماء قريباً، بعد سنتين أو ثلاث على الأبعد.... وكذلك المترو على الأرجح.

النهار في بدايته. الشارع فارغ تقريباً. الطقس منعش، هذا مفرح.

أتطلع أمامي. الشارع يصعد قليلاً؛ الحي مبني في خاصرة الربوة. صفّان من الأكواخ المغبارّة، المهزوزه، حائلة اللون. يصعب أن يعرف عمرها. شهر، سنة،

عشر؟ لا فرق، هنا، ينزلق الوقت بخلاف مما هو عليه في أمكنة أخرى. والفقراء، بغرابة، يشيخون قبل الآخرين بزمن ومع ذلك لا شيء يتحرك أبداً.

لاالشجر، لا الأسيجه ولا الواجهات. الدرب شق نصفه، وفي بعض الأمكنة، لا طريق. ليس سوى تراب الأرض، الوحل الجاف والغبار. من وقت لآخر، تعبر دويبّة ركضاً: كلب هزيل، دجاجة مطاردة، خنوص يلاحقه طفل حافي القدمين. يعطي هذا الوضع انطباعاً عن الإهمال، عن النقص: لوحة رمادية وسخه، مصغرة. ليس بميسور الرسام إتمامها أبداً.

لقد ألفتُ هذا الشارع. والشوارع المجاورة تشبهه. من هنا، يبدو حي النادي حلماً. وربما كان قائماً على كوكب المريخ.

رجعت لأتحقق أن أسرتي ما تزال نائمة. وضعت عبوتيّ الماء وخرجت أرتاح أمام بابنا، إلى جانبي مذياع صغير لأبي. نزعت خفيّ، ومن طرف إبهام رجلي، تدحرجت آلياً حصاه في الغبار، بينما كنت أركّز المحطة.

في الخامسة صباحاً، تماماً. . . . الأنباء.

تتوالى العناوين: «رئيس الجمهورية يعود من سفرة إلى اوروبا، حادث طائرة في التكساس، حادث قطار في يوكاتان[1]، والكاتب الشهير ويللنغتون دي فرغارا مات بذبحة قلبية في أحد سجون بلاده، في أمريكا الجنوبية. والممثل انتوني كوين، ابن الأروقة المكسيكية، يستعد لعرض انتاج ضخم في بلادنا. وقائع مختلفة: مهاجمة مصرف في بوييلو، وثلاثة قتلى. مهرّب مخدرات قتل على الحدود. اكتشاف جثة في هذه الليلة في حي جميل من أحياء العاصمة. . . .»

اطفأت المذياع. بالتأكيد، المقصود هو غوميز وإن لم يذكر اسمه.

أقلب أفكاري: لو وجدوه في الليل، لقلب المنتدى رأساً على عقب. شرطة، تفتيش، تحقيقات. . .

(١) شبه جزيرة في المكسيك، بين خليج المكسيك وبحر الأنتيل. ـالمترجم-

وإن لم أذهب؟ لكن ليس لدي أي عذر أقدمه إلى أهلي. فضلاً عن أن غيابي يثير الشبهة فوراً.

عند وصولي إلى النادي. كيسي إلى كتفي، أجد المنتدى كبيت النمل في قمة الرعب. رجال الأمن مبثوثون في كل مكان: في المطابخ، في الغرف، حول ملاعب كرة المضرب، وفي مكاتب الإدارة.

منذ أن وضعت قدمي في حجرة ثياب المستخدمين، هاجمني السيد سانيتني.

ـ هوذا، إنه هو.

كان معه رجلان لا أعرفهما. أتذكر في الوقت المناسب أن المفروض أن لا أكون في مجرى الحدث.

ـ ماذا هناك يا سيدي؟

حدجني.

ـ بابلو، هل رأيت غوميز هذا الصباح؟

ـ السيد غوميز؟ لا سيدي. فنحن لا نصل أبداً في وقت واحد، بعد أن تعلمت الطريق. لماذا؟

دون أن يجيب، توجه سانيتني بالخطاب إلى الرجلين.

ـ عن هذا الفتى حدثتكما. اسمه بابلو بارال بارينش. لا يعمل في النادي إلا منذ برهة، فلا أستطيع مطلقاً أن أضمن استقامته. هو جار صغير لغوميز، الذي جلبه إلى النادي. من يعرف علاقتهما بالضبط؟ كل من أعضاء الجهاز الاداري يشهد أنهما تنازعا البارحة. ولقد أبدى هذا الفتى حقده على هذا التعس.

ابتلعت ريقي بصعوبة.

عما تتكلمون يا سادة؟ لم أفهم شيئاً.

بدأ أحد الرجلين الكلام.

ـ أشكرك سيد سانيتني. اتركنا وحدنا برهه، من فضلك. وشكراً مرة أخرى.

يطأطيء سانيتني رأسه، يرميني بنظرة حاقدة ويخرج.

ـ اجلس.

ـ من أنتما؟ ماذا تريدان؟ عندي عملي.

ـ أنت الآن في عطلة. اجلس.

كان يتحدث كرجل اعتاد القيادة. صمتّ وأطعت.

ـ حسناً. أنا رجل أمن: المفتش أراندا. وهذا صديقي، المفتش فرناندز.

ـ الأمن؟ لم أفعل شيئاً.

ـ سنرى. هل كنت تعرف غوميز؟

ـ غوميز؟ تعرف... قلت «كنت تعرف»؟ هل أصابه مكروه؟

يتبادلان نظرة سريعة.

ـ أنت ذكي محتال، بابلو. لقد مات. اغتيل.

ـ متى؟ أين؟

ـ البارحة مساء، ليس بعيداً من هنا.

ـ آه! ويقول السيد سانيتني إني مشبوه؟

ـ قال هذا.

ـ لمَ؟

ـ لقد سمعته.

ـ ليس لديه براهين!

أعضّ شفتيّ. انا في طريقي للتصرف بالضبط كمجرم. ربما توجب علي أن

أفضح الاغتيال منذ البارحة مساء. لكني خفت: في مدينة الصفيح، كل الناس يتّقون الشرطة. وهكذا تصرفت.

أراندا يبسم لي.

- قل لي، بابلو؟

- نعم، سيدي

- لم تسلني كيف مات صديقك؟

- ما كان صديقي!

- آه لا؟ خسارة.

فخ على فخ. علي أن أشدد الحذر. قد يخاف المدير الفضيحة؛ لا يجوز ازعاج زبائنه الأغنياء مهما كان الثمن. لست سوى صبي، أصلُ من حي الصفيح. لم أعمل في الاورزونت، إلا منذ برهة قصيرة. وتحت التجربة: المجرم الهدف. انذهل كل الناس: المدير وسانيتني، للتخلص من الشرطة، تفاهما مع أراندا وفرناندز لإنهاء تحقيقهما بسرعة. يجب الاعتراف أن لديهما أسباباً وجيهه لاعتباري مجرماً. . . . أو على الأقل مشبوهاً.

- والآن. . . كيف مات؟

- مطعوناً بخنجر. ثلاث طعنات في صدره.

- غير ممكن أن أكون الفاعل. فلست أكثر من ولد.

- صلب العود بالنسبة لعمرك. لو كانت معرفتك به وثيقة، لما وقفنا منك موقفاً حذراً.

- هذا خطأ!

- سنرى. موقتاً، اريد عنوانك.

أطعت .

ـ آه . . . تسكن في كولونيا سان رافائيل؟

ـ نعم سيدي .

ابتسم بسمة رقيقة . خمنت بدون صعوبة بمَ يفكر : بالنسبة له ، فتى من سان رفائيل قادر على فعل أي شيء .

سجل عنواني على دفتر ، وأطبقه بضربة خاطفة .

ـ حسناً . تقدر أن تعود إلى عملك .

أنهض وأتردد وأسأل : هل تتهموني؟ قد يكون القاتل أي شخص ، جوال ، عدو له ، أي كان .

ما عداك . موقتاً عد إلى عملك .

مرت صبيحة ذلك اليوم دون مشكلة أخرى . ريكاردو وراؤول تحاشياني ، لبعضهما يقولان : بما أنني قتلت غوميز . فلمَ لا اقتلهما . لذا بدأا يخافاني .

أما بقية العمال فلم يكلموني إطلاقاً . ومن جهة أعضاء النادي فليس هناك مضايقات لأنهم ليسوا على اطلاع بمجرى الأحداث .

قبل منتصف النهار طلب مني زبون أن أشتري له بعض الأشياء من خارج المنتدى . قبلت بسرور لأتخلص ولو للحظة من الشكوك التي تحيط بي .

على الرصيف تسمرت إذ رأيت أمامي صبي البارحة مساء ينحني تحت مصباح وإلى جانبه صندوق مسح الأحذية ، ارتشعت قليلاً : لقد كان في نفس المكان ليلة البارحة يجثو أمام غوميز .

تلاقت نظراتنا . يعلم أني عرفته . يهز رأسه شيئاً فشيئاً ويدير بصره . وفي اللحظة ذاتها دعاه رجل فجثا أمامه وراح يدهن الحذاء .

تابعت طريقي وأنا أفكر .

ليس صعباً أن اتخذ أدلة اراندا وأطبقها على ماسح الأحذية الصغير. فانا أشبهه للنظرة الأولى: هو من عمري وله قامتي فإذا ما باغت غوميز يستطيع أن يوجه الضربة الأولى ويرميه، فيصير القضاء عليه سهلاً.

عدا عن أني رأيته يلمع حذاء غوميز يوم موته بالذات. وأنا، من جهتي، أعلم أن غوميز يدهن حذاءه بالشمع كل يوم عند الظهيرة.

يوم كنت أزاول هذه المهنة، في حي المصارف، كان لي زبائن رسميون، معتادون أن ألقاهم كل يوم. ربما حدث هذا بين غوميز وماسح الأحذية الأشقر. ربما كانا متعارفين إذن. ومن هذا تنبع أشياء كثيرة: ألفة حميمة، تفسح في المجال أمام المراهق، لأن يضرب، ويقتل بسهولة. . .

فرضية ناجحه.

تائه بين أفكاري، أرجع إلى النادي. ربما استطعت التحدث إلى أراند عن هذا الصبي، وأن أطرح عليه استنتاجاتي. . .

لكن النادي استعاد هدوءه العادي: لقد غادره رجال الأمن.

لم يطردني سانيتني. في البداية، دهشت لهذا. لكن ريكاردو. راوول وتقريباً كل الخدم ينظرون إلي بتحفظ؛ يراقبوني، يتجسسون علي، على الأرجح بأمر من أراند. يتصور رجال الشرطة أني في النادي، حيث عملت مع غوميز، سأفشي جرمي بسهولة.

حتى متى سيحتفظ بهذا الموقف اليقظ نسبياً؟ لا شيء يمنعه من توقيفي. لا شك في أنه يريد اتخاذ هيئة البحث برهه ما. . .

**الخامس عشر من تموز**

**دليل مؤرق آخر**

البارحة مساء، أقص على أهلي خبر اغتيال غوميز. دون الإشارة إلى الشكوك

التي تثقل كاهلي. ورجال الأمن لم يكلفوا بعدُ أنفسهم عناء المجيء إلى كوخنا لتحريه.

أراقبهم.

أمي ترسم إشارة الصليب على وجهها، تندب حظ جارنا، تتحدث عن أخوات غوميز، عن المساعدات التي أولاها بيتنا، أسرتنا، عن المجرمين الذين يغشون شوارع مكسيكو وعن العقوبة التي يستحقها القتلة.

والدي ساكت. قاعد، منهك الهيئة، يحدجني بنظرة عجلى. خلال ثانية أفهم أنه مرتاب بي. دونما سبب معين، بل فقط لأنه خائف أبداً، من الحياة ومن الأحداث، ومن الأسوأ. خلال هذه الثانيه، يتصور الأسوأ: «ماذا لو كان بابلو القاتل؟»

هذا لا يغضبني، ولا يسبب لي أي أسى. أغيّر موضوع الحديث.

أنا لا أستطيع الاعتماد على أهلي. دربهما ارتسم، ليسوا قادرين على قلب الأمور، أو تغييرها ولا مصارعتها.

أنام بعد الجميع، بعد تقبيل لو زيللو وجوانحو، أخوي الأصغر. جريمة الاغتيال هذه أثارتهما. يثرثران باهتياج، لكأن يتباريان بالاخيلة. يلعبان لعبة رجل الأمن في التلفزيون. إبتسم وأنا أصغي إليهما. آه! لو أجد وسيلة تقيهما الانزلاق، أو تحول دون وصولهما إلى الدرب الذي صرت إليه.

نام الصغيران. أكتب في أواخر الليل.

ثم، أتردد. وإن وقعت يومياتي هذه بين يدي أراند؟ إذن لكان لديه الدليل أني أعرف أمر الاغتيال منذ ١٣ الجاري مساء.

وإن كذبت حول هذه النقطة؟...

سأحرق ما كتبت.

لا أجد الجرأة وأقرر الاحتفاظ بأوراقي هذه. وعدت نفسي الإفادة منها للتعويض، بطريقة ما، عن المدرسة التي حرمتها منذ الآن. الحرق، التخلي عما كتبت وأكتب، يعني التخلي أيضاً عن رغبتي في تجاوز فقرنا وقهر السلم الآلي.

يجب إخفاؤها. حافي القدمين، جاهداً في اتقاء أي جليد، انزلق خارجاً. آخذ رفشاً لأبي وأصنع نوعاً من حفرة في أسفل جدار متداع من كوخنا.

# المفكرة

**السابع عشر من تموز**

نهاران هادئان، لا جديد. لا الراديو ولا التلفزيون تحدث عن غوميز. وأراندا وزميله لم يعودا، ولم أرَ ماسح الأحذية. سانيتني يتقي مواجهتي ريكاردو وراوول يرسلان نظرات ماكرة نحوي، لكن بصمت.

جعلت نفسي صغيراً جداً، أنجز عملي بكل ما أستطيع من رصانه وأسارع إلى بيتي مساء.

أتوجه إلى محطة الحافلة، يتبعني أحدهم. لا أبالي به، لكن يقبض ذراعي فجأة ويلصقني إلى جدار.

أتساءل باديء ذي بدء: لو كان رجل أمن، لأعلن عن نفسه. لص؟ لا أحد يهاجم فتى رث الثياب.

لقد اغتيل غوميز ليس بعيداً من هنا. ومنذ ما طرأت هذه الفكرة على بالي، أدرك أن عدوي ذو علاقة بالاغتيال. كان رجلاً صارم النظرات، ثقيل المحيّا.

- ماذا تريد؟

- المفكرة.

- ماذا؟

- هات المفكرة.

ـ من أنت؟ أية مفكرة؟

ـ مفكرة غوميز .

ـ دعني، سأصرخ . . . .

بإحدى يديه ألزمني الجدار . ومدّ اليد الأخرى إلى جيب سترته وأخرج منها سكيناً ذات فرضة توقيف (موس كباس)، فتح النصل ووضعه على عنقي .

ـ تريد أن تصرخ؟

ـ لا، لا . . . . اتركني .

ـ المفكرة؟

ـ هل قتلت غوميز؟

ـ هات المفكرة، أو قتلتك .

وأبرقت عيناه . فأعي أن القول ليس تهديداً عابثاً .

ـ تنحّ عني! ليست معي!

ـ اين هي إذن؟

أقرر كسب الوقت . كسب الوقت . التسويف .

ـ هو . . . . غوميز أعطاني إياها في صباح موته . وأنا . . . . خبأتها .

ـ عندك؟

ـ لا .

ـ أين؟

ـ أين؟ إن ابتكرت عنواناً، مكاناً، لجرني إليه بالقوة . وأمام مخبأ فارغ . . . . لا . إذن :

ـ بالدراهم!



ـ ماذا؟ حدجني بنظره محتارة .

ـ الدراهم . يجب إعطائي مبلغاً مرضياً لقاء المفكرة .

ـ أنت مجنون .

ـ أبداً. غوميز أعطاني المفكرة ، حسناً؟ ومن ثم مات ، حسناً؟

ـ إذن ، لهذا دلالة ما .

ـ تثبت ماذا؟

اردت فعلاً أن أعرفه : قلت كلاماً لا معنى له ، وبسرعة ، آملاً كسب الوقت . أدرك أن نظرته غير عادية ، محمومه ؛ كمن دخّن أفيوناً سيقص عنقي بلا مبالاة .

ـ كم تريد ، حشرة؟

ـ على الأقل ، ١٠٠ ألف بيزو .

ـ ١٠٠ ألف؟

ـ بالتمام .

يهز رأسه ببطء . وبدون إخطار ينزل بعنقي جرحاً ما . لم أصرخ ؛ الدم يبدأ ينز .

ـ أمهلك عشر ثواني . ثم ، أذبحك .

لقد قتل غوميز ، وسيذبحني .

ـ حينئذ؟

أطبق عيني . تنطلق طلقة . اعتقد أن المجهول أخرج سلاحاً للانقضاض علي عن كثب . لكني أحس ارتخاء قبضته . ألحظ وجهه يعمره الألم ، وبدمي أحمر كتفه . ويده تفتح لتسقط منها السكين .

ـ بابلو! أسرع!

هناك سيارة واقفة على خطوات مني. دونما تفكير أثب إليها، وأدخل رأساً محنياً. يفتح الباب، أرتمي قرب السائق الذي انطلق في الحال.

ـ والآن أيها الفتى، لولا القليل؟

يضحك السائق في وجهي. أتعرف فيه الصحفي الذي أعطاني معلومات عن المجلة.

ـ أأنت واحد من صحفي مجلة سيودادس.

ـ شخصياً.

ـ اطلقت عليه!

يهز رأسه، بعنف ويقول.

ـ أنا لا أملك أي دليل، لكني مقتنع أنه قتل غوميز. ما فعله معك يثبت انه خطير جداً.

ألحظ أن منقذي، هو الآخر، له ضلع في الاغتيال. لن أفاجأ بشيء.

أسأل:

ـ عما يبحث؟

يرميني بنظرة مبتسرة، قارصة. فاحصة.

ـ يريد المفكرة.

ـ أي مفكرة؟

ـ عليك أن تعرفها؟

أتفرسه بذهول.

ـ بحق السماء! معرفتي بغوميز واهية جداً، وأنا أكرهه. فكيف يأتمنني على أمر هام؟

ـ أنت لا تعرف شيئاً؟

ـ أبداً!

ـ أتفهم أني انقذتك منذ لحظة؟ ما دام قد قتل غوميز فهو لا يبالي بقتلك.

ـ لاطلاعك، أنا شاكر فضلك، لكني لا أعرف شيئاً عن هذه القضية.

يحدق بي.

ـ تقدر أن تعود إلى بيتك. حتى الآن ليس عندك ما تخشاه.

ـ من كان هذا الرجل؟ لمَ أطلقت عليه من فوق؟

ـ اسمه ميدينا. لو لم أطلق عليه لما كنت الآن هنا لتطرح هذه الأسئلة. حاول ألاّ تتجول في الليل وحدك لمدة ما.

ـ حسناً. . . حسناً. . . . شكراً.

يبتسم لي بلطف.

ـ لا داعي للشكر.

ـ وأنت ما اسمك؟

ـ غارسيا . فيليب غارسيا كورال .

ـ شكراً ، سيد غارسيا . ألا تقدر أن توضح لي شيئاً؟ وإن تعرض لي هذا الشخص ثانية . فضلاً عن أن الشرطة ترتاب بي . لو أني أقدر أن أوسع اطلاعك . . .

ـ نعم . لست مخطئاً . أما الآن فأنا في عجلة من أمري . علي أن أسافر ، سأترك لك شارة ما .

علي أن أكتفي بهذا .

ـ حسناً . وشكراً مرة أخرى

ـ حظاً طيباً ، بابلو . كن حذراً .

**الثامن عشر من تموز**

لا أقص على اهلي شيئاً مما يحدث لي . ترى أمي الجرح وأبتكر قصة : لقد أفرغت أحد المسابح لأنظفه ، فسقطت واصطدمت بالسلم المعدني .

وصل أراندا وفرناندز إلى النادي باكراً ، وطلبا أن ألحق بهما إلى سانيتني .

ـ عمت صباحاً بابلو .

ـ عمت صباحاً يا سيدي .

ـ أنت بخير؟

ـ بلى . . . . ايها السيد .

ـ لا تشكو شيئاً؟

ـ لا ، سيدي .

ـ وهذا الجرح في رقبتك؟

ـ أوه ، هذا؟ حادث أحمق . هذا أخي الصغير جوانجو . نتصارع لنضحك ، فيرميني بحصاة تخدش عنقي .

ليس غباء أن أسرد عليه أمراً آخر غير الذي قلته لأهلي ، لكن نظرته البارده اقلقتني .

ـ حسناً . وفيما يخص غوميز ، ألم تعلم أمراً جديداً؟

ـ لا .

ـ لو علمت شيئاً ستطلعني عليه ، بالتأكيد؟

ـ بالتأكيد ، يا سيد .

ـ حسناً . عد إلى العمل .

بعيد الظهر ، أخرج لمسابقة في العدو . بعد خمسمائة متر ، أرى شخصاً جالساً بهدوء على علبة مسح الأحذية .

ـ أحييه .

أتوقف . يجيب التحية .

أهز رأسي : أعرف أنّا تلاقينا .

ألحظ فجأة أنه ليس أبيض ، كما اعتقدت عن بعد ، بل خلاسي ، رغم شقرة شعره التامة . وعيناه ، المتطاولتان ، المغلوقتان كحبة لوز ، خضراوان بعمق . وما

تبقى من سيمائه يبدو هندياً واضحاً. ولون بشرته يتناقض بغرابة مع نظراته وشعره. يعطيه هذا سيماء غريبة، شديدة الوقع، يصعب نسيانها.

- سلاماً. ما اسمك؟

- وأنت؟

- ماذا كنت تعمل الليل الفائت في الشارع؟

- وأنت؟

- أقدر أن أشي بك.

- ليس سهلاً.

- لماذا؟

- أوه... لأني لم أكن في مكان الجريمة.

- كيف؟

ضحك ساخراً، وتابع:

- لم أكن موجوداً. لا أوراق ثبوتيه، لا عنوان، ولا اسم. كيف يمكن توقيفي؟

- ما رأيك بقضية غوميز، وقد اطلعت عليها؟

- وأنت؟

- ألا تعرف أن تقول شيئاً إلا «وأنت؟»

---

(١) من هنود أمريكا الوسطى (هندوراس، غواتيمالا وغيرها، - المترجم-

ـ بلى: بعدك.

وأيضاً يضحك هازئاً. التفت فأرى فتى آخر، مستنداً إلى جدار. دنا بهدوء، وصمت كالهر.

هو الآخر من عمري. هندي في كل شيء: وجنتان مخططتان، عينان سوداوان، لون نحاسي. أتأمل أنفه، البارز، المفلطح، المتناقض مع قسمات دقيقة ناعمة؛ الخاصة الطبيعية التي يتكلمون عنها غالباً في الكتب المدرسية. يجب أن يكون الفتى مايا(١)، آتياً من الجنوب، مرتدياً سروالاً بالياً وستره رجل أعرض منه بكثير، تخفق فوق صدره العاري. ينتعل خفين من جلد نموذجي لأبناء الريف. وهذا كل ما يميزه.

يسألني الأشقر:

ـ ماذا تفعل، في النادي؟

ـ ألمُّ الكرات. وأشياء أخرى.

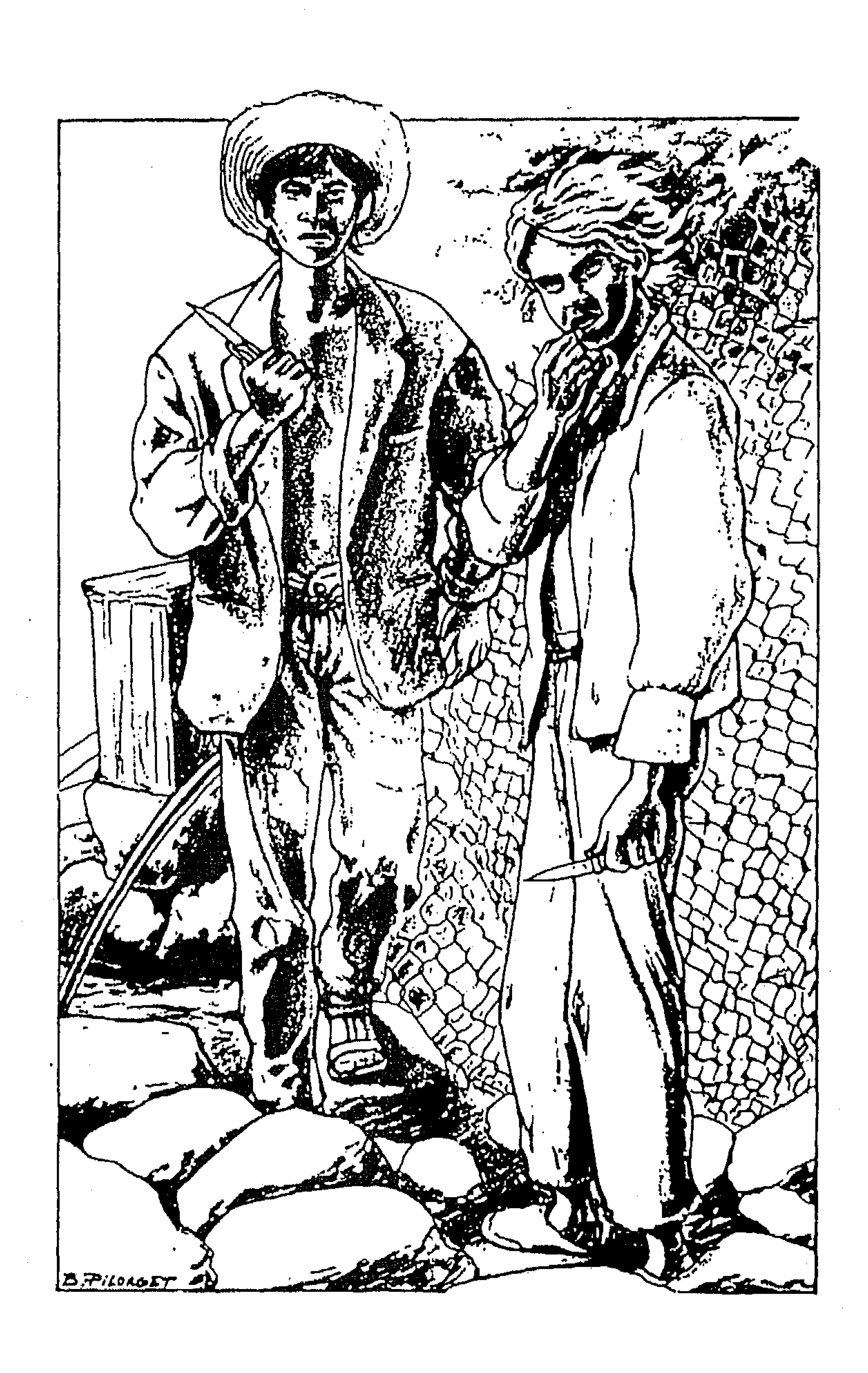
ـ أكثر أنتم؟

ـ ثلاثة.

ـ حسناً. غداً، يستقيل الآخران. وتطلب من معلميك أن يتعاقدوا مع إثنين من أصدقائك.

ـ أمجنون أنت؟

ـ تصور أن أدعو الشرطة، وأوضح لهم أنك كنت منحنياً على جسد غوميز في لحظة موته. ليس عندي سوى أن اصفك. وأصف، مثلاً، الحقيبة التي تحملها. إنه


B. PILORGET

لأمر خاص جداً، مع رأس الأسد هذا المرسوم فوق. . . . . ولم يحكِ للصحف عنك أحد. إذن، سيعرفون أني لم أخترع شيئاً.

وأنت، لا تعرف عني شيئاً.

إنه على حق: أراندا يرتاب بي وأي تفصيل آخر يضيعني.

ـ حتى إن وافقت، فأنا لا أستطيع التحريض على طرد راوول دريكاردو.

هزّ الخلاسي الأشقر رأسه.

ـ هذا المساء جهز نفسك لتخريب دراجاتهما. فيضطران للذهاب على أرجلهما. اكتفِ بملاحقتهما، من بعيد.

ينهض، يأخذ علبة مسح الأحذية، ويفر بخطوات سريعة. يتبعه الهندي، دون أن ينبس بنت شفة.

أصل النادي وأنا أكثر ارتباكاً من أي وقت مضى. غوميز، غارسيا، ميدينا، وهذان الصبيّان. . . . ماذا يمكن أن يصلهم الواحد بالآخر؟

بعد ساعة، انزلق إلى المرأب وأدس كمية كبرى من السكر، سرقتها من المطبخ، في خزانات وقود دراجاتهما النارية. بحيث يتعذر استخدامها قبل عملية تنظيف كاملة. ويكرهان على الذهاب سيراً على الأقدام. ففي نهاية النهار أراقب عن بعد محاولاتهما العابثة: غير القادرة على تشغيل هذه الدراجات. فيستسلمان للمشي.

بعد برهة، كانا في الأرض البور حيث سلبا دراهمي، في الأسبوع الفائت.

ظلان يبرزان إلى جانبهما، وبعد صراع مختصر، وجدا نفسيهما في الأرض. رغم فتوّة المعتديين عليهما.

ـ بابلو! أقبل!

اقترب فأرى. ريكاردو وراوول في الأرض على ظهريهما. وقد جثم الفتى الأشقر على ريكاردو، وغرز ركبته على صدره؛ وفي يده، سكين يحز رقبة ضحيته الذي، جحظت عيناه، فلم يعد يجرؤ على الحركة. وإلى جانبه، يهيمن الفتى الهندي على راوول بنفس الطريقة.

إنهما يتنفسان بصعوبة. وخلال لحظة أتذكر نصل مدينا على رقبتي. . . .

الخلاسي الأشقر يتمتم.

ـ منذ غدٍ، منذ غدٍ، أتسمعان! ستغادران النادي.

يحاول راوول النهوض، وعلى الفور يرد عليه الهندي بطعنة حادة، ويسيل الدم.

ـ موافق، موافق!

دون أن يترك عدوّه، يتابع ماسح الأحذية بلهجة قاسية:

ـ هل رأيتما صوراً لغوميز في الصحف؟

ـ نعم. . .

ـ ألا ترغبان في اللحاق به؟

ـ لا . . . . .

ـ إذن، غادرا المكان، ولا تحاولا إخطار الشرطة، وإلا عرفنا كيف نلقاكما ثانية.

وبنفس الحركة المرنة، ينهض الصبيان، يتراجعان خطوة، والسكين في اليد.

ينتصب راوول وريكارد بدورهما. يترددان، يتبالان نظرة، ويرفضان العودة إلى العراك.

جبناء. يتهمون المراهقين الغرباء باغتيال غوميز، لا يجرؤون على مواجهتهم، ولا إخطار الشرطة. يبدؤون تجارة وسخة وغير مشروعة معرضين أنفسهم للملاحقة.

يغادران الأرض البور، بظهر مقوّس.

يقول الأشقر:

- ألا ترى، كان الأمر بسيطاً.

أعض شفتي، متذكراً وجه مدينا الشرس. أقارنه بوجهي هذين الشابين المتوحشين اللذين يواجهاني. إن لم أتأكد من معرفة القاتل . . .

- ستعطي اسمينا إلى معلميك.

- لكنك لا تملك مراجع. هذا مكان . . .

- حاول. لا تكرهني على إخطار أصدقائك الشرطة بالهاتف.

- لا . . . . .

- إذن، نحن متفقون.

- أنا بحاجة لاسميكما.

أخيراً يفتح الهندي فمه. صوته هادىء، ثقيل:

- اسمي ساتورنينو كروز. عمري أربعة عشر عاماً.

ـ وأنت؟

ـ أنا نلسون .

ـ نلسون؟ لم أسمع بشخص بهذا الإسم .

ـ هذا هو اسمي الشخصي .

ـ وأسرتك؟

يتردد ؛ أدرك أنه سيكذب علي .

ـ نلسون كروز . ساتورنينو ابن عمي . وهو في عمري .

ـ حسناً . اين أجدكما؟

ـ نسكن في مرآب مدمر ، عند «تقاطع الخامس» الجنوبي مع «الثورة» . تأتي وتصفر ، هكذا .

أتفحصهما مرة أخرى . ولدا عمّ؟ إنهما يمتلكان فعلاً ذات التوحش والمرونة ، ذات النظرة الصهباء ، عينان خضراوان كهرّ لنلسون ، وسوداوان كذئب لساتورنينو . غير أني اعتبرهما مختلفين جداً . نلسون متسلط ، يشتعل غضباً ومرارة . ساتورنينو أكثر قتامه ، أعمق سراً خلف قناعهِ النحاسي .

اسلم ساقي للريح ، مغادراً الأرض البور .

# الجزء الثاني

## التاسع عشر من تموز

في هذا الصباح، يصل ريكاردو وراوول قبلي. لم يولياني اهتماماً.

حوالي الحادية عشرة، يطلبان التحدث إلى سانتيني.

بعد ربع ساعة، يستدعيني هذا الأخير.

- ما تزال تضعني أمام قضايا جديدة. بابلو.

- أنا، سيدي؟

- ريكاردو وراوول قدما استقالتهما. فذووهما يرفضون تركهما هنا، بسبب الاغتيال.

- لا دخل لي ولا أستطيع شيئاً. أنا بريء! وأنت تعرف هذا جيداً.

- أعرف فقط أنّي بسببك، في هذه القصة، تعرضت لمضايقات شخصية.

إنه ينفر مني. يدمرّ حياتي دونما ندم. لكنني أهتبل الفرصة:

- سيدي، أنا أعرف من يحلّ محلهما.

- شباباً؟

ـ ولدا عم، يسكنان حارتي.

ـ حارتك؟ وحارة غوميز. لن نجلب إلى هنا أولاد أزقّة.

ـ سيدي، هما جيدان جداً. ثم، سيكلفانك أقل مما تدفع. هما أصغر عمراً.

أوشك أن يرفض، ثم غيّر رأيه.

أراقبه منذ ما بدأت العمل في النادي: ضعيف يعتقد أنه قوي. يميل إلى اختيار الحل الأسهل، وتجنب الغموض، حتى ولو سبب له هذا ازعاجاً فيما بعد.

ـ أيستطيعان المجيء غداً صباحاً؟

ـ لا بأس، سيدي.

ـ اتفقنا. إذن في التاسعة نجتمع.

ـ سمعاً وطاعة، سيدي.

انتهى عملي، سأواجه «الأخوين كروز».

لم تدمر الهزة الأرضية في العام الفائت حيا معيناً، بل ضربت، صدفة، المدينة كلها.

أنا على أرض واحد من هذه المدمرات: مبنى مكاتب من عشرة أدوار. في مساء الزلزال، صار حطاماً. حملت البلدوزرات الأنقاض، دونما اهتمام، بالمواقف التحت ـ أرضية. تجولت بين كتل الأسمنت المسلح الباقية وعثرت على السلّم القديم.

أغرق في الظلال، خطاي ترن بغرابة. بعد برهة، عند منعطف ممشى رمادي، منحوس، ألحظ نوراً.

يقيم نلسون وساتور نينو في زاوية من هذا السرداب؛ لقد صنعا من حطام السيارات غرفه. يأكلان هنا، ينامان هنا. مكان متعذر بلوغه.

بين هيكلي بناء، أشعلا مشعلاً ينشر انعكاسات خيالية على البوابات الصدئه، على معدن الكروم المنطفيء، وعلى ألواح الزجاج السليمة. أغادر المكان، فيخيل لي أننا في وضع يشبه حياة أجداد أجدادنا.

كانا قاعدين الواحد على صندوق، والآخر على عجلة سيارة عتيقة، ينتظراني.

- والآن؟

- معلمي موافق.

- الموعد؟

- التاسعة صباحاً.

- إذن إلى الغد.

- يجب تدبير ثياب لائقة، كلباسي للخدمة: سروال قصير، قميص، جوارب، وأمتعة أخرى لكرة المضرب، بيضاء.

يحني الخلاسي رأسه هازئاً.

- ليست الألبسة أمراً هاماً. أما ثياب التنس...

أأفترض أن عندك بديلاً.

- نعم، لكن...

يقدّرني بنظرة.

- عليك أن تبدو بقيافه جيدة. سندبر الأمر.

### العشرون من تموز

يحضر نلسون وساتورنينو. ويتم توظيفهما خلال عشر دقائق.

يثرثر نلسون طيلة الوقت. يقص على سانيتني أن أباه وعمه (أو من عُرف أنه أبوه) يعملان في البناء، كوالدي. وهما الاثنان يرغبان في كسب بعض النقود خلال الصيف.

ـ تدهشني طريقة نلسون في التعبير. يتكلم بأناقة، تقريباً كأولاد النادي، كواحد من أبناء الأغنياء. أتذكر أني يوم رأيته لأول مرة، اعتبرته شقياً هارباً من بيت أسرته المحترمة.

ومن ثم، في أسلوب حديثه شيء ما غريب. ماذا؟ لا أعرف. لكنه ذكرني بأحدهم.

انقضت بقية النهار بسرعة.

والآن، أنا الـ «قديم». أشرح لرفيقيّ الجديدين عملهما، أمكنة المشروبات، مواد لعبة كرة المضرب، وكل ما هما بحاجة له.

أراقبهما.

يختلفان جداً الواحد عن الآخر. يستحيل التصديق أنهما أبناء عم.

نلسون هو الأكثر بلبله. أولا بسبب وجهه، أغلب سكان مكسيكو (ما عدا الأحياء الفخمة، كحي النادي) خلا سيون. فضلاً عن أنها حالتي. ومن النادر جداً أن ترى وجهاً هندي القسمات منمذجاً بعنف، كقسمات نلسون... تنضاف إلى العينين الخضراوين المدهشتين واللمة الشقراء المشرئبه. أما سلوكه كامل تماماً. بألبسته البيضاء الكاملة (ألبستي!)، لا يختلف مطلقاً عن بيئة النادي الفخمة. لكنها رفاهية مشوشه؛ يبدو تماماً غريباً عن الخدم، رغم أن الزبائن (والخدم ممنوعون من الظهور إطلاقاً) لن يلحظوا أن نلسون مشوه لو جلس معهم إلى طاولة خضراء.

ساتور نينو على العكس تماماً. تقريباً أخرس، مقطب الجبين دوماً، يرمي حوله باستمرار نظرات نافره، حائره ومعادية. تدل هيئته أنه لم يلمس يوماً كأساً من

الكرستال، ولا قمقم عطر، ولا باقة زهر، أو أي حاجة نافلة وحلوة مما كان علينا أن نضعه أمام أولاء السيدات. حركاته طائشة، غالباً أو في غير مكانها. مع ذلك فهو يشترك ونلسون في وحشية غريبة. يتبادلان نظرات حيوية لكنهما لا يتبادلان الكلام. أقدح زناد الفكر لأعرف عما يبحثان.

## الواحد والعشرون من تموز

.

### اليوم يشبه البارحة

كان علي أن امتلك عينين خلف رأسي لأنهض بواجبي، وفي الوقت ذاته أن أراقب «أولاد العم» كروز.

عند انتهاء الظهيرة، يناديني اثنان من الأعضاء هما: السيد فالادار، أحد الناشرين، والسيد كستيللو، الذي يعمل في الاستيراد والتصدير مع أمريكا الجنوبية.

- أيها الصغير! ناداني هذا الأخير.

- نعم، سيدي؟

- لا نريد أن يزعجنا احد. أكلفك بالبقاء أمام باب هذا البهو؛ وأن لا يدخله أحد.

ليس طلباً غير عادي. هززت رأسي.

- حسناً، سيدي. لكن علي أولاً أن أوصل هذه الصينية إلى المسبح.

- عد بعد ها على الفور. إن كان الباب مغلقاً، لا تفتحه. اقصر عملك على هذا المكان.

ـ حاضر، سيدي.

ما أن تخلصت من الصينية حتى بدأت نوبة الحراسة. لأربع ساعات، ربما، ضجرت جداً؛ لأن أحداً لم يعبر ذاك الرواق.

أخيراً، اسمع صوت لفيف صغير من الناس. يثرثرون، يدخلون قاعة البليار، هم خمسة، بينهم السيد كوريانت، مدير النادي. وإلى جانبه، كستيللو.

بدون أن أعرف السبب، أفهم في الحال أني في خطر. يبدأ كستيللو هجومه فوراً.

ـ حسناً بابلو، ماذا تفعل هنا؟ يتكلم بنبره بشوش، وبدون أن أعرف الجواب، أرجع خطوة إلى الوراء، مسنداً عارضيّ إلى الباب.

بحركة عادية جداً، يزيحني كستيللو دون أن ينتظر جوابي. يفتح الباب ويلج القاعة، متأبطاً بوئام ذراع كوريانت.

ـ يا إلهي!

ـ أي رعب!

يبدأ التساؤل. يدلف رفاق المدير إلى القاعة، وبدون أن أعلم كيف أدخل معهم.

فالادار مرمي على معقد وثير، ميتاً، وخنجر غارق عميقاً في صدره.

يستدير كستيللو نحوي

ـ أوقفوا السوقي! لقد خرج، سيهرب.

يحيطون بي. يستحيل الهرب من الرواق.

التقدير سهل. كستيللو، بعد ذهابي تماماً، طعن الناشر، غادر البهو وأغلق الباب. . . . الباب الذي حرسته ببلاهة. ثم انضم إلى كوربانت في قاعة البليار وبعدئذ «اكتشف» الجريمة.

أنا المجرم المثال، بخاصة لدى من يقبل أني اغتلت غوميز، لخلاف أو ثأر. وفالادار، الذي يرتاب بشيء ما، ذبحته هو الآخر. ليس الأمر معقداً.

من يصدق روايتي؟ لقد قتلته. إذ لا أحد يضع في الميزان: سوقي من سان رافاييل في كفّه، وكستيللو الشريف في الكفة الأخرى.

أخاف، أثب جانباً، انزلق، أسقط على ركبتي. تصدف يدي اليمنى مادة صغيرة باردة، دائرية ومسطحه. مداليه، آلياً، وأنا أنهض. دسستها في جيبي.

والتصق بالجدار.

ـ هذا. . . ليس أنا.

يهز كوريانت كتفيه، يصل عدد من الخدم، يشدهم الصراخ. يشتمهم المدير:

ـ أنت أغلق النافذة. راقب الباب. لا أحد يلمس الجثة.

ثم، يخاطبني:

ـ سأخطر الشرطة. إجلس، واهدأ.

وأطيع، محرجاً، منذهلاً.

يغادر أصدقاء المدير، ومنهم كستيللو، القاعة. لم يبق إلا ثلاثة رجال مكلفون بالحفاظ علي، وبعض الخدم بينهم ساتور نينو نلسون.

دونما حركة، مندهشين، ينظران إلي بثيابهما البيضاء أحاول حل اللغز وأحاسيسهما. مستحيل. يقدمان لي وجهاً عبوساً. الخصائص الهندية بارزة في وجه نلسون، فيبدو أكثر انغلاقاً وعدوانية عن ساتور نينو.

أخفض نظري، وأخفي يديّ في جيبيّ.

تحت أصابعي، أتلمس المدالية الصغيرة التي التقطتها. غريب. أستطيع أن أقسم، أن كستيللو وفالادار، المرتديان ألبسة خفيفة صيفية، ما كانا بهذه الثياب عندما كلماني.

على عجل أتفحص لقيتي.

أتبين أنها فعلاً مدالية فضية. سلسلتها محطمة. وهي بسيطة. من وجه شعار الشرق متمثلاً بشجرة ومركب منمنمين، وعلى الوجه الآخر، الحرفان W.V، متقاطعان.

بقربي، يزفر أحدهم نفساً أجش.

أرفع رأسي. حركة نلسون سريعة، لكن ليس كفاية. فقبل أن يرفع يده إلى صدره، ألحظ مدالية معلقة برقبته، أشبه بتلك التي تفحصتها. أقدر أن أميز الحرفين W.V.

أتردد: أصرخ، أأوقفه؟

هذه المرة، تحرك قبلي: رسم إشارة لساتور نينو، واختفيا.

أسمع جلبة في الرواق. يرجع كوريانت، برفقة أراندا وفرناندز.

- مدّ يديك.

لا خيار، وبحركة رشيقة، قيدني أراندا.

- تعال.

جروني، أسكت. أخاف.

المرآب فارغ. ما عدا حارس أخذه النعاس في محرسه، بعيداً عنا.

أتقدم نحو سيارة الشرطة التي أشار أراندا، عندها أسمع أمراً وجيزاً:

أرفعا أذرعكما! لا تتحركا. بابلو تعال إلى هنا.

التفت: أراندا وفرناندز جامدان دونما حراك. في ظهرهما رجلان: الصحافي غارسيا ورجل مجهول طويل القامة، لطيف، في الأربعين من العمر. شعره شديد الشقرة، قصير جداً، عيناه الخضراوان تتناقضان مع قسمات وجهه الهندية

الأصيلة. غريزياً أنظر إلى صدره، يرتدي قميصاً مفتوح الطوق، بحيث رأيت بوضوح المدالية الفضية، المعلقة برقبته، تشبه المدالية التي التقطتها؛ تحمل الحرفين W.V. في يد الرجل مسدس.

ـ انبطحا، الوجه إلى الأرض.

يطيع رجلا الشرطة. يفتشهما غارسيا على عجل، يجمع سلاحهما، ومفتاح اتصالهما ومفتاح ڤيدي. ويشير لي:

ـ اصعد إلى هذه السيارة ولنرحل.

اقبع في الخلف. كل شيء يمضي بسرعة. الحارس لا يلحظ شيئاً.

يرتمي غارسيا والمجهول على الكراسي الأمامية. تنطلق السيارة من المرآب كالإعصار، متجهة نحو المركز.

# الكـاتـب

**الواحد والعشرون من تموز، بعد الظهر.**

استغرق الطريق أكثر من نصف ساعة. أحاول التكلم مع منقذّي، اللذين فكا قيودي، ويكتفي غارسيا بالقول:

ـ صبراً.

تتوقف السيارة أمام صرح كلي الحداثة في شارع «ريغورما»، أكثر فخامة من مواقع المكاتب، المصارف، وشركات التأمين الواقعة في المركز. هنا كنت أنتظر راحة الظهيرة لامسح أحذية المستخدمين، مع ذلك، لم أجد مناسبة لولوج واحدة من ناطحات السحاب هذه.

ـ من هنا....

يتقدمان بسرعة، يأخذاني إلى الردهة. الوقت مناسب لالقاء نظرة دائرية حولي: فتحات مزججة، مرايا واسعة، نباتات خضراء تشبه في الأغلب رياضاً داخلية. مقاعد ضخمة جلدية. حيث يمكن أن تسكن اثنتا عشرة أسرة كأسرتي.

المصعد، رأيت مثله في الأفلام، لكني لم استخدمه مطلقاً. إنه أشبه بطائره تقلع. أنا لم أركب طائرة أبداً، وإذن....

الطابق الرابع عشر. ممشاه أوسع من شارع في سان رافاييل، شقة ١٤١٠. المجهول يدفعني إلى الداخل.

- من هنا.

«من هنا»، عبارة عن غرفة نوم فيها سرير ضخم، فتحات مزججة تشرف على «ريغورما»، وتلفزيون. وأنا اجتاز البهو، مكنني الوقت من أن أتحقق من وجود جهاز تلفزيون آخر، مصابيح في كل مكان، ومجموعة محطات(١)، أثاث حديث، من المعدن.

حسب سعة هذا البهو، تستطيع الشقة ايواء أسرة من الفِيلة. ومع التلفزيون في كل غرفة، لا تنزعج الفِيلة أبداً، هذا معروف.

يتركاني وحدي، يقفلان الباب بالمفتاح. أفتش الغرفة، افتح الخزائن (خاوية)، أصغي برهة، من النافذة المفتوحة، إلى ضجيج الريغورما. ثم، أقر بعجزي، أقبع أمام التلفزيون. هو وقت بث الأنباء، من واحدة من عشر موجات.

وأيضاً الرئيس. هذه المرة، يسافر ليوقع اتفاقاً تجارياً مع كندا، وثم الأحداث. وجولة في العالم. واقعات مختلفة. أخيراً قرروا التحدث عني:

« . . . . إن هذا الإغتيال الوحشي يشهر تماماً انحطاط القيم الأخلاقية. أينتظر أمر آخر من بعض الشباب الذين يرفضون علوم المدرسة والمدنية الحديثة. مثل هذا الشاب السوقي، بابلو بررال. . . »

وهكذا. ينزلون بي، مسبقاً، عقوبة الإعدام.

(١) مجموعة محطات متواصلة أو مترابطة تلفزيونياً أو إذاعياً.

أغلق المحطة. لم تعلمني هذه النشرة أي شيء، لكنها تذكرني الشيء الذي، [لو بث بالراديو، في الصباح الفائت لما كان الأمر هاماً].

أتمدد على السرير وأطبق عيني لأفكر أحسن.

بعد ربع ساعة من الراحة، يفتح المجهول باب الغرفة.

- تعال إلى البهو، علينا أن نتحدث.

بإصغائي له، أفهم إن كانت افتراضاتي صحيحة. أتبعه.

أحتل مقعداً وثيراً، ويجلس هو قبالتي. غارسيا يراقبني، وهو واقف أمام مكتبة عالية.

- إذن؟

- إذن تلزمنا المفكرة. المفكرة التي أعطاك إياها غوميز قبل موته. إنت تعرف أني صديقك. لقد انتشلتك مرتين من موقف حرج: ميدينا أولاً، والشرطة بعده.

عوضاً من أن أجيب أتوجه إلى المجهول:

- على مداليتك: الحرف V يعني ڤرغارا! بفرح أشاهد أنه لم يتوقع هذا

- أنت واحد من ذوي الكاتب الذي مات. ويللنفتون ڤرغارا. وفي أسرته، صبي يشبهك. اسمه نلسون، وهو من عمري.

يتبادل غارسيا والرجل الأشقر نظرة طويلة. يسألني المجهول:

- كيف... كيف وصلت إلى هذه النتيجة؟

- سمعت من الراديو خبر موت كاتب من امريكا الجنوبية. وعندما صدفت

نلسون هذا، قمت بالمقاربة، النوع نفسه من الاسم الشخصي، الانكليزي، غير المعتاد لدينا. ولنلسون نبرته الخاصة: نبره غارسيا ذاتها.... وهي نبرتك أنت.

ـ تابع.

فضلاً عن أن نلسون هندي بشعر شديد الشقرة، مثلك. ويحمل مداليه تشبه مداليتك. يعطي هذا الكثير من النقاط المشتركة: النبرة، المداليات، الحرف V لفرغار والتشابه الشخصي..... لقد قرأت كتباً لأخيك. وأذكر صورته الشخصية في الصحف. وهو أيضاً يشبهك.

ـ معك حق. اسمي ويسلي. ويللنغتون أخي. أنت ذكي بابلو مع كونك.....

ويقطع كلامه بطريقة متضايقة.

ـ مع صبي من سان رافاييل؟ قد يحدث هذا. ويمكن أيضاً أن يقرأ صبي مثلي كتبَ أخيك. هل نلسون ابنك؟

ـ لا، هو ابن ويللنغتون. كنت أظن أنه مات، هو الآخر.

يعلن غارسيا ثانية:

ـ يجب أن تزيده إيضاحاً. فربما، بعد هذا، أولانا ثقته.

ـ حسناً.

ـ يبدأ ڤرغارا:

ـ في بلادنا حكم مطلق، مستبد. وقع انقلاب. بدأ رجال الأمن باعتقال الوزراء

السابقين، ثم قادة الأحزاب السياسية، والنقابيين، والصحافيين، والمحامين الذين، مثلي، يسعون إلى مساعدة المساجين، وبعدئذ، اعتقال عشوائي. فكل من ينتقد النظام الجديد يعيش في خطر. ولإرهاب المعارضة، يهاجمون أصدقاءهم، وأفراد أسرهم. الشرطة تراقب المدن. فرّ قسم من المعارضة ليعيدوا تجمعهم في الخارج. ولم يستطع آخرون اجتياز الحدود: أخي، مثلاً. ويللنغتون ونلسون اختفيا: أهما معتقلان، سجينان، أو حتى قتيلان؛ يستحيل أن نعرف. لكن ويللنغتون استطاع الحصول على وثيقة هامة جداً، مفكرة تجلب الكثير من المضايقات للطاغية، لو نشرتها الصحافة في البلدان الأخرى. ولقد وصلت الوثيقة إلى يدي فالادار، ناشر كتب أخي هنا. وسرق غوميز الوثيقة.

- لماذا؟

- فالادار أعادها إلى غارسيا، الذي عثر على عمل في الصحافة المكسيكية. ولقد عمل على نشرها. آنئذ. سرقها غوميز، لصالح عملاء الدكتاتور الموجودين في المكسيك. ثم، مات، اغتاله ميدنيا.

- من ميدنيا هذا؟

- واحد من هؤلاء العملاء. ليسوا كثراً، لكنهم خطرون. ونحن لا نعرف موجههم.

لماذا يعتقد كل الناس أن الوثيقة كانت معي؟

يتدخل غارسيا.

- كان يبدو أن غوميز يتجسس علي. ولدى تحققي من اختفاء المفكرة، فهمت أنه

سرقني. لاحقته لاستعادتها. رأيت ميدنيا يهاجمه، منحنياً فوقه ويهرب. دنوت، كان يحتضر، وتمتم:

«المفكرة مع بابلو، مع بابلو. . . . » ومات، اضطر أن يقول هذا إلى مدنيا. اكتفيت بالبحث عن بابلو بارزال على لائحة مستخدمي أورزونت. وتذكرتك.

ـ لكن لم يعطني شيئاً.

ـ لم استطع تصديقك.

ينهض ڤرغارا.

ـ يبقى نقطتان لم تعلّلا. كيف عرفت ابن أخي؟ ولماذا قتل فالادار؟ أأنت تعمل مع الشبكة؟

ـ لا أبداً.

هذا أفضل تعليل لقتل فالادار، وتعرفك على وجود نلسون. ولهذا أعطاك غوميز المفكرة قبل ترك النادي.

فكرّت بعصبية. من وجهة نظره، هذا صحيح. لكني لم أقتل فالادار. ونلسون لم يمت في أمريكا الجنوبية، بل هو يجرجر في شوارع مكسيكو برفقه صبي يسلك سلوك الذئب الجائع. وأخيراً، ثمة قضية المداليه الثالثة التي وجدتها قرب جثة الناشر.

غارسيا وڤرغارا انقذاني من الشرطة، وهذا يعلل بعض الأمور، ويعقد أموراً أخرى، لكنهما يعتبراني مسؤولاً عن موت صديقهما. لن يحمياني طويلاً. يجب الهرب.

ـ حسناً، هذا صحيح. غوميز أعطاني دراهم. أعطاني مبلغاً لم أجد مثله في جيبي أبداً. وفي ١٣ من الشهر الجاري، قبل مغادرة النادي، أعطاني المفكرة. طلب أن أخبئها حتى يطلبها مني.

ـ آه أين هي الآن؟

ـ عندي في سان رافاييل.

ـ أين؟

ـ مقابل مبلغ ما.

لقد تحرك هذا النهج مع ميدنيا. الكائن الفظ. المحامي والصحافي أقوى من ألف مرة، لكنهما يعتبراني لصاً؛ هذا ساعدني.

ـ أن يدفع لك؟

ـ ما وعدني به: ١٠٠ ألف بيزو.

ـ موافق.

ـ مسبقاً!

ـ غير ممكن، يا صغيريّ. وبعدئذ.

ـ لكن...

ـ بعدئذ! وإلاّ، الشرطة...

ـ حسناً... موافق.

إنهض. وإلى هناك فوراً.

أخذنا المصعد. ثم، في البهو، الأمر سهل. يفتح غارسيا باب الشارع؛ أضرب فرغارا تحت النطاق، فينثني نصفين من الألم. وبعد التخلص منه، أثب إلى الخارج، متجنباً غارسيا.

أبدأ الركض. يلحقني غارسيا، لكني التقطت شاحنه متجهه نحو المركز. أتعلق بواقيه الصدمات الخلفية. وبضربه صلب يائسه، أصير في وسط حمولة من العجلات القديمة وبواري السقاية. بعد التقاط النفس، أرى غارسيا في الطريق، مرتبكاً وواهن القوى.

أحس السعادة: خادعت غارسيا وفرغارا، لأدلهما على ذكائي.

لا تحب أمي أن تراني أقرأ. فبهذا أضيع وقتي، أحلم، أعدُّ الازعاج لنفسي، هذا ما تقوله دوماً. أحياناً، من الراديو، تتعرف اسم واحد من الكتّاب الذين استعير رواياتهم من المدرسة. هم ذائعو الصيت، ومنهم، مثل فرغارا، يقلقون حكومة بلدهم ورجال أمنها. بالنسبة لأمي، هذا يعني أفراداً مبهمين، غامضين، عصبه نصابين أو محرضين، وغير جديرين بالثقة.

أما أنا، بالعكس، أرى أنهم يكتبون لأناس مثلي: للتعساء والمجتهدين رواياتهم تعنيني، أكتشف فيها كلمات ومشاعر لا أعرف أن أجدها وحدي، بل كما أرى، هي التي تترجم قلقي أو كآبتي.

إن قلت لأحدهم، في النادي: «ليس هذا عدلاً. لست راغباً في أن أصير خادماً، أو عاملاً في ورشة، بل أن أختال في عين الشمس أو أن أعوم في المسبح»، فربما تعرضت لصفعة. لكني أتصور أن رجلاً مثل فرغارا كان يفهمني؛ لذا أحب كتبه.

ينتظر أهلي أن يتعب منّا سوء الحظ والنحس، ويرحل إلى جارنا. وأنا، أريد أن أصارع، أن احتج، وأقول لنفسي إن ڤرغار يوافقني رأيي. ولهذا قتل.

ظاهرياً، يلتقي مع أخيه فكرياً، وهو أيضاً في خطر. فإن وثق بي، لوددت أن أحدثه، بأشياء، لا يدركها أهلي ولا الراشدون من حولي.

بينما تجرجرني الشاحنة بعيداً عن الريغورما، أتذكر نلسون. فإن شابه أباه وعمه، وإن الت هذه القصة إلى نهاية طيبة، ربما ثرثرت معه، لأفهم شيئاً مما يبدو أنه يخص أسره كأسرتي.

# المـرأب

**الواحد والعشرون من تموز، مساء**

**أترك الشاحنة.**

أجد نفسي في المركز، ليس بعيداً عن نبع كثيراً ما مسحت الأحذية قربه. الشوارع المزدحمة بالمارّة، عامره بالمساكن المتنفخة، البنية، المغراء أو السوداء المعتمة.

الطقس حار، وهذا ما يجعل أنابيب التهريب في السيارات تنشر الطاعون، والبنزين والمازوت. والتلوث لا يهاجم فقط الأبنية الرسمية المبنية منذ اتيوربيد، بورفيريو دياز أو كردناسما، بل حتى ثياب المارّة. وليس ثمة من وسيلة لحماية الأحذية اللامعة برهة طويلة؛ هنا، في هذه الزاوية تحسنت أحوالي.

أفكر بشوق قاس بأخوي جوانجو ولويزللو، بأعينهما البراقة وسحناتهما الطفلية الوسخة. حيث يجوبان بنشاط ثلاثة أو أربعة شوارع، من شوارع الساحة المركزية الواسعة، زوكالو، إلا إذا تخلص رجل أمنٍ متحمس لساعة أو ساعتين من زمر الشحادين، باعة المثلجات، الفستق، وماسحي الأحذية ومنعهم من التجمع أمام قصر الرئاسة والكاتدرائية.

جوانجو ولوزيللو.... لا بد من العودة إليهما، والتفكه معهما. وأن أشتري لهما نشره مزينة بالصور أو كيس بطاطا مقلية، كما خطر لي فجأة، وليس العودة إلى البيت لرؤية أبوي. فالشرطة تراقب البيت على الأرجح. وأنا لا أقدر أن أسمح لنفسي بالاتصال بأسرتي.

لا نادي، ولا بيت. لقد هربت من غارسيا وڤرغارا. لم يبق لي مكان أذهب٦٩ إليه إلا المرأب لأرى «الأخوين كروز». لن أوليهما الثقة ولن أنسى فرضه السكين (موسى الكباس) الذي يستخدمان بسهولة لكنهما وحدهما من يستطيع تزويدي بمعلومات جديدة. يبدو نلسون كمن يعرف أشياء يجهلها عمه نفسه. والآن بعدما قدّرت هويته الحقيقية، ربما استطعت أن أضغط عليه. على أي حال، ليس لدي شيء آخر أفكر به. فالشرطة وزمرة ميدنيا وجماعة ڤرغار يتابعونني عبر المدينة. فلن أستطيع وحدي التخلص منهم.

أنتظر المساء وأنا أطوف في حي «أجزم مونيدا»، خلف القصر الرئاسي. أسواق بائسة، أُسر هندية ممزقة الثياب مكومة تحت الأقواس الاستعمارية القديمة للبيوت التي صارت خرائب، إلى هذا الحد أو ذاك. فالكثير من اللاجئين المايا الآتين من جنوب المكسيك أو شمال غواتيمالا يقبعون كيفما اتفق في أمكنة كهذه.

حوالي الساعة الثامنة مساء، ابدأ السير في درب المرآب. وصلت في التاسعة تقريباً.

مرة ثانية، أسير في ممشى من أنقاض الأبنية المدمّرة. ومن جديد أوقدا النار. طيفاهما يرقصان على وتيرة اللهب المنعكس على هياكل السيارات المحطمة. ووجهاهما النحاسيان يبدوان، في هذا الضوء، شبه شيطانين، شبه خياليين. يشير لي نلسون.

- اقترب.

أطيع، وأرتمي على شاحنة حمراء ضخمة، أشبه بالوحش، منزوعة العجلات، كانت يوماً ما تساوي ثروة. ساتورنينو يهتم بالنار ونلسون جالس على عجلته. علب فارغة مرمية في المكان. وعلبة، وقد تحولت إلى فانوس، تنشر ضوءاً أصفر وبخاصة، رائحة زيتيه، منفرة.

مقارنة بهذا المأوى، يشكل كوخنا في سان رافاييل جنةً، وأتذكر صورة ويللنغتون دي فرغارا الشخصية التي تتصدر غلاف كتبه، والتي تمثله واقفاً أمام قصر إسباني من عمر الاستعمار، وأسأل نلسون عن إحساسه في وسط حجر الجرذان هذا، بعد أن قضى نهاراً على ركبتيه، يدهن الأحذية. فربما جلى هذا الأمر اضطراب مزاجه، أثناء لقائنا الأخير. . . لم يبق لدي شيء افقده: أشعر أني مستعد لمجابهته.

ـ ماذا تريد؟

ـ معرفة ما حدث مساء اغتيال غوميز، ما دمت كنت هناك. ومعرفة من أين أتت المداليه التي وجدتها قربه ما دام لديك مثلها. ومعرفة عما تبحث في النادي وأيضاً (وأشير بيدي إلى ساتورنينو) معرفة دوره. مقابل هذا أطلعك على معلومه: عمك ويسلي هنا، في مكسيكو. تحدثت إليه، يظنك ميتاً. ولدي عنوانه.

أين؟

ـ قل أنت أولاً.

يتبادل نظرة مع ساتور نينو، الذي يهز كتفيه.

يتبادل نظرة مع ساتور نينو، الذي يهز كتفيه.

ـ قرر

يبرطم، يغوص في عجلته، وينتهي إلى القول:

ـ موافق. إنها قصة طويلة. في بلدي، عائلتي ذائعة الصيت منذ زمن، بل منذ ما بيعت كتب أبي في العالم كله. لنا قصر استعماري في العاصمة. و«قصر ضخم» في الضاحية، وكومة مال. لنا أجداد انكليز: لذا يحمل الأبناء الاسم الانكليزي المعروف.

ـ نلسون؟

ـ وويللنغتون، وويسلي. ابنا عمي ويسلي، يدعيان سومرست وويرويخ. عندنا جميعاً هذه المداليه التي تبدأ بحرفين، وشعار نسب العائلة، الذي يعود إلى أيام ملوك كاستيل.

ـ وشعوركم الشقراء؟

امتقع وجهه.

ـ تزوج جدي هندية. . . ورماني وساتورنينو بنظرة غاضبة.

ـ ليس خيراً ما تفعل. . . كان شعره أشقر جداً. أبي وعمي، والصغار يتشابهون كثيراً، ونحن فخورون بهذا. أفترض أنك أسأت الفهم. أسرتنا. . . . أو بالحري القبيلة، الأسرة الحاكمة. وغريب مثلك. . . . وبحركة من ذقنه يشير إلى ساتورنينو.

ـ . . . . . . أو هو، فهذا أمر لا تدركونه.

وأبدأ أراه كريهاً بوضوح.

ـ عندما بدأ حكم الاستبداد، فرض على المعارضة أن تترك البلد. عمي، عمتي، سومرست وويرويخ، رحلوا جميعاً. أما أبي الذي كان معروفاً جداً، اعتقد أنهم لن يؤذوه. فقرر أن يبقى معي (امي ماتت) لمساعدة أصدقائه. وفي يوم عقد مقابله مع صحفيين انكليز وألمان. وفي الغد، اختفى. وإلى المدرسة، أتى رجال الأمن بالثوب المدني يبحثون عني لاعتقالي أيضاً. استطعت الهرب؛ فوجدت نفسي في الشارع. كان عمي في المكسيك، لم أجرؤ على الذهاب إلى أي مكان. اختلست، مددت يدي مستعطياً، لكن بسبب شعري وعيني، كان اكتشافي سهلاً. في يوم، على الشط، لحظت سفينة شحن مسافرة إلى أمريكا الوسطى. اندسست فيها. واستطعت صرف المراقبة. عملت في الآلات، لم يكن الأمر سهلاً. . . .

أهز كتفيّ: لأربح الفلوس وأنا في السادسة من عمري، في الشوارع.

ـ . . . . . أوصلني المركب إلى كانكان. وهناك تعرفت إلى ساتورنينو.

ـ كيف تصادفتما؟

يكشر نلسون.

ـ أوه لسنا صديقين. لنقل شريكين.

ـ لم أفهم.

ـ في كانكان عملت في الغسل والجلي في مطعم صغير. كان ساتورنينو يمسح الأحذية هناك. في يوم، هاجمه أحد اللصوص، أخرج سكينه فهرب اللص. أحسست أني لست قادراً وحدي على الوصول إلى مكسيكو. ثرثرنا. هو الآخر كان راغباً في الذهاب إلى الشمال.

يبدأ ساتورنينو الكلام. على مهل تحدث، مستخدماً تعابير من الجنوب لم أفهمها جيداً.

ـ كان أهلي فلاحين. كانوا يكدون كالبهائم دون أن يربحوا شيئاً. ماتوا، كنت آنئذ في السابعة من عمري. وضع مالك كبير من المنطقة يده على المزرعة. طردني وكيله بركله في قفاي. فوجدت نفسي في كانكان؛ كسبت قروشاً طيبة، بسبب وجود السائحين. تعلمت كيف أدبر شأني، أن أصارع، أن أدافع عن نفسي. ومن ثم قدم لي نلسون اقتراحاً: أن أرحل معه إلى مكسيكو، أدركت أني هناك استطيع، ربما، أن أربح الدراهم مع أسرته.

ـ كيف؟

ـ في يوم، في ذاك المطعم، ظهر في التلفزيون. كان واحداً من الرجال المهمين، ولقد قابل الرئيس نفسه.

لم يتكلم ساتورنينو أبداً هذا الحديث الطويل. فأصغي إليه بكل حواسي.

ـ هذا صحيح، أضاف نلسون. كان عمي يشن حملة صحفية لتحريرنا، أبي وأنا. لكني كنت أجهل عنوانه. آنئذ قدمت اقتراحاً لساتورنينو: إن ساعدني، سيعطيه عمي ما يكفي من الدراهم لشراء مزرعته. فنحن أغنياء جداً، كما تعرف. ولقد استطاع عمي تهريب مبلغ كبير من ثروتنا. ولنا رصيد ضخم في المصارف، في سويسرا والولايات المتحدة.

أخاطب ساتورنينو:

ـ هل قبلت.

ـ المزرعة، افعل كل شيء لاسترجاعها. خلال أربع أو خمس سنين سيصلب عودي. وأهتم بالأمر. يومئذ، علمت نلسون كيف يركض أسرع من الآخرين، وكيف يستخدم السكين والطعن.... وسرعان ما تعلم.... وعبرت وجهه الذئبي والنحاسي ابتسامة عجلى.

ـ في مكسيكو، بدأنا نمسح الأحذية في الأحياء الباذخة. كنا ننام هنا. والمرآب لقيناه صدفة. وفي يوم، بجانب ناديك، تعرفت إلى غارسيا وفالادار. كانا يأتيان كثيراً إلينا. لكني لم أجرؤ على محادثتهما على الفور.

في أمسية، تابعت غارسيا، عن بعد. أمامي أخذ المنعطف. سمعت صرخة، صرير باب. وانطلاقة سيارة. عربة تسرع باتجاهي. التصقت بجدار، انتظرت دقيقتين أو ثلاث. اختفت العربة. رأيتك منحنياً فوق الجثة.

ـ وثم؟

ـ قررت الالتزام بعمل في النادي. كلهم يلتقون هنا: غوميز، غارسيا، فالادار وأنت، أردت أن أعرف ماذا يحدث في النادي. اتصلت بك. وتعرف الباقي. كيف استطعت أن أحدس أنك قتلت غوميز؟

ـ أنا لم أقتله. سأدلي لك بالأمر. والمداليه؟

ـ أرني إياها!

أستجيب. يهمهم:

ـ WV، ثمة ثلاث W في الأسرة. عمي ويللنفتون...

ـ وهو يحمل W. لقد رأيتها.

ـ حسناً. لا يملك كل منا سوى واحدة.

ـ من أيضاً؟

ـ ابن عمي وبرويغ. عمره عشر سنين، يعيش في فرنسا، مع عمتي كرستينا. لما كان صغيراً. كان يعضها باستمرار. ليست عمته، ثمة دلائل. وحتماً لا عمتي ولا عمه سومرست.

ـ إذن...

ـ نعم، إنها ولا شك عمة أبي. وفي هذا البهو، كان لدى أحدهم أخبار عنه يتفوه ساتورنينو:

ـ تهاجمه بعد موته .

يرميه نلسون بنظره غاضبة . في الحق ، هما غير متحابين .

وينهي كلامه متذمراً :

ـ وأنت ، بدورك . قُصّ علي ما تعرف .

ـ القصة طويلة أيضاً .

سردت لهم ما حدث لي منذ وصولي إلى النادي برفقة غوميز . وأنهي قصتي بوصف مروري في مبنى الريغورما .

ـ يقطن عمي هناك .

ـ هو وغارسيا ، لدى كل منهما نسخة من مفتاح الشقة .

ـ يجب الذهاب إلى هناك .

ـ أنت تثق بغارسيا؟

ـ لو تقول الحقيقة . . .

ـ نعم ، بالتأكيد!

ـ أنا لا أثق بك ولا بأحد . لكن لو تقول الحقيقة ، غارسيا ، غارسيا عدوّ ميدينا . لقد انقذ حياتك . هو يعمل مع عمي . يجب أن نجرب حظنا .

التفت إلى ساتورنينو

ـ فيما تفكر؟

ينبري نلسون :

ـ ليس هو من يقرر .

نظرة أخرى معادية بين الصبيين . هارب أم لا ، ماسح الأحذية أم لا ، يبقى نلسون ابن كاتب كبير ، من سلالة شهيرة ، وارث «لقب دي كاستيل» . لا يحبذ أبداً أن يذكّره أحدهم بنصيبه في الدم الهندي ، ولا يعتبر ساتورنينو صنواً له بل مجرد مستخدم عرضه للابتزاز ، ثم ، الطرد .

مع هذا وذاك ، بينهما تشابه فعلي : التوحش ذاته ، الخشونة ذاتها ، الخفيّة والخطرة والمرنة . كل هذا قادني إلى الشك بهما باغتيال غوميز . ربما أثر الواحد بالآخر : نلسون ، المطرود من قصره ، تعلم التسكّع في الشوارع ، استخدام السكين ، عدم الثقة بأحد ولا بشيء . وساتورنينو ، هو الآخر ، يعرف من الآن فصاعداً أن العالم أوسع بكثير من بيت أهله المترب أو زاوية رصيف وسخ في كانكان . بسبب نلسون يواجه خطراً أكثر فورية وإماتة من الجوع أو البؤس ، لكنه يكتشف أن باستطاعته أن يقاتل أو يصارع من أجل قضايا كبرى أكثر إدهاشاً من سنبله ذره أو قطعة نقود من عشرين بيزو .

بذون قصد ، تكاملا ، رغم سوء احتمال الواحد للآخر . نلسون يحتقر المايا وهذا يعتبر الخلاسي الأشقر «سيداً» بالكاد يختلف عن الآخرين . غير أنهما يسعيان سوية ، ويشكلان شابين فعّالين وخطرين .

لدى رؤيتهما ، أقول لنفسي ، ليس صعباً الخلط بين الواحد والآخر . فالشعلات تمحو الفروق في وجهيهما : الشعر الأشقر والعينان الخضراوان للأول وقسمات المايا للثاني ، ونبرات التعابير القاسية والمتوحشة توحد بينهما .

فأفهم سبب اهتمام نلسون بقبيله فرغارا، بشبهه بأبيه، وعمه وأبناء عمه. إنه يكتشف في ساتورنينو شخصاً يشبهه كثيراً. وبعكسي أنا، هما أحرار، الأول بثروة أهله، والثاني، بدون أسره، ولا بيت ولا واجبات، يقدر أن يختار مصيره دونما مراجعة أحد. ونلسون الفخور بميلاده، يجهد في الانتقاص من ساتورنينو. عيناه الخضراوان، كالهر، وشعره الأشقر، ومعرفته، وكثير من الروابط تربطه بماضيه، وكثير من التفصيلات تبعده عن ضعة ساتورنينو. . . وضعتي أنا.

صعب على المرء أن يصدق أن نلسون الذي ربي على يدي ويللنغتون وويسلي، حقود وغير متسامح لهذا الحد. ربما اكتسب خبثه من الشارع، من الخوف الذي يؤرقه منذ توقيف والديه، ومن الكآبة. ثم ساتورنينو، بجمجمته الصخرية وصمته الغبي، الحطبي، ليس سهلاً أن يعيش. غير أني أجد أفكار السيد الوريث، صعبة على البلع. ولدى العودة إلى الواقع، أعبر عن رأيي.

- إن ساتورنينو يخاطر بحياته، بالضبط، مثلنا. فله حق الكلام، والتعبير عن فكرته.

يضحك نلسون ساخراً:

- هو؟ بالكاد يحكي عشرين كلمة في اليوم. وأنا افترض أنه بحرث وسقاية حصواته الثلاث، في مزرعته، نسي أن يتعلم الكلام.

يبقى ساتورنينو ساكتاً. ولا أعرف إن كان القصد هو الصبر، اللامبالاة. . . . أو ربما كان يشعر فعلاً بأنه أخرس، احمق أمام نلسون.

سواء كان يمكن مسامحته على أقواله أم لا، فهو يبالغ، مع ذلك، أنا أقبل:


WELLS FARGO
AMERICAN EXPRESS

ـ مفهوم. لنذهب إلى تلك الشقة، لكن الليل قد انتصف، وخلت الشوارع من السيارات.

ـ إذن، على الأرجل.

ـ تبعد الشقة حوالي ثمانية كيلو مترات.

ـ لا خيار. ومن ثم، عليك أن تعتاد استخدام أرجلك، فلا تشكو. . . .

ربما كان هذا صحيحاً قبل أن يصادف نلسون أما الآن، توجب عليه أن يكتشف أن ثمة أشياء أخرى موجودة. لذا، في الليل الفائت، أزعجته كما أزعجتني آراء نلسون حول سطوة أسرته. وبدون شك، هو يرى أني، حتى أنا، تقريباً ولد غني. فأنا عندي أسرة، أعرف القراءة والكتابة، أقطن في العاصمة. بالنسبة لهنود الداخل، كل شيء ممكن، هنا في مكسيكو. وصحيح أني في دخيلتي أصون الأمل دوماً. ثمة الكثير من الناس ومن المناسبات في هذه المدينة. فيجب باستمرار أن تحاول إرغام الحظ. وساتورنينو، هو الآخر، بدون سلاح مثلي.

**الرابع والعشرون من تموز**

**في الواحدة إلا ربعاً ـ صباحاً**

ينتصب عمودا برج جواريز أمامنا، مظللين، متصدعين، مشرفين على حطام الفندق القديم. يبدو العمود اليميني سليماً، أما الآخر، فقد أصيب إصابة بالغة؛ نقص طابقين أو ثلاثة.

الأعمدة غير مضاءة؛ لكن مصابيح الشارع، والنيونات العديدة الدعائية، ومئات المربعات الصفراء من النوافذ المجاورة تنيرها كفاية.

لم أكن أخرج من البيت ليلاً. فإلى أين أذهب بدون دراهم؟ ليس إلا شياطين الاورزونت الذين يدعون بعضهم بعضاً لإقامة أمسيات راقصة، وجولات لا تنتهي على الدراجات النارية أو السيارات لينسوا قلقهم. كنت أبقى وحدي في الحي محصوراً؛ ضمن مجموعة من الأكواخ الضيقة، المظلمة، والمقلقة، حتى الصباح، يبدو لي إذن منظر انسرجانت رائعاً، جنياً. لذا أفهم فكرة ساتورنينو، المهموسة على مضض.

ـ نعم، هذا حلو... لكن في الجنوب، توجد مدن المايا القديمة.... أجمل....

ـ أتعرفها؟

ـ لا . لكني سأذهب إليها يوماً ما .

يهش نلسون برأسه ، بدون خبث فعلي ، مكتفياً بأن يقول ما هو بدهي :

ـ أبداً لن تترك سريرك الكلسي . وثم ، ماذا تستطيع أن تفهم أنت من المايا القدماء . لقد اختفوا منذ زمن بعيد . . .

ـ جرح الكلام ساتورنينو فردّ بقسوة :

ـ وأبوك قد اختفى هو الآخر . أنت ، ليس لك أصل ولا بلد ، ولا حتى كتلة وحل بحيث يمكنك أن تقول : «هذا ، هذا لي» . . . مكان كمزرعتي . . . يحول نلسون عينيه الخضراوين ، دونما جواب . وأنا ، منحرف المزاج ، أراقب :

ـ هل أفترض أنه يجب اختيار العمود السليم؟

ـ هذا منطق : حيث ما يزال المصعد يعمل .

ـ أعلن ساتورنينو ، بعد أن استعاد هدوءه ، علينا أن نصعد على الأقدام .

ـ لماذا؟

ـ لتجنب الانذار والرعب .

ـ ماذا . . . ليس ثمة إلا عمي واولئك الذين يجب عليه لقاؤهم : اصدقاء .

ـ لا . الأفضل عدم الثقة .

ونحن نتردد :

ـ أتدفع لي لقاء هذا ، لا؟ توقع الخطر ، والدفاع عنك .

ـ وإن انتظرنا في الأسفل ، أقترح . فنحن لسنا واثقين إن كانوا في الأعلى .

يهز ساتورنينو رأسه .

ـ بالضبط . . . الأفضل أن نكون أول من يصل . فإن كانوا هناك فليكن ونقترب لنعرف ما هذا .

بجهد نتسلق الأنقاض . الكتل الحجرية والرخام حيث ما تزال مزروعة سيقان الأعمدة الضخمة التي لم تكفِ للحفاظ على الصرح وإنقاذه .

نتأكد من وجود زوايا مكسرة من سلم ضيق حول أقفاص المصعد .

ـ نتسلق من هنا .

ـ ثلاثين طابقاً؟ وثمة أجزاء ناقصة . نتعلق بالعوارض ، بالهياكل . هيّا .

يتخلى نلسون عن احتجاجه ، وساتورنينو يوافق بإيماءة من رأسه ، ونبدأ الصعود .

تبدو المغامرة خطيرة بشكل مخيف . يجب اختبار كل درجة قبل المتابعة . ومع هذا لم يكن ساتورنينو متأكداً من أن فاجعة تنتظرنا في الخطوة التالية . فالعتمة تجعل تقدمه أكثر خطراً .

بعد برهة ، اتساءل إن لم يكن في الأعلى ، شخص متربص كامن ، مستعد لصرعنا . لكن إذا كان ڤرغار قد اختار مكاناً غريباً وفي وقت شاذ ، يجب أن يكون متأكداً أن أعداءه وإذن أعداءنا ، ليسوا هنا .

يزداد الخطر عند اجتياز القسم المهدم من الدرج . يجب التلمس ، اللجوء إلى الشقوق والصدوع التي شققت الصرح ، والتأكد من كل نقطة استناد قبل تسلق عشرة سنتمترات . مع ذلك ، فإن حذر ساتورنينو أنقذ حياتنا .

خمسة رجال يتواجدون على السطيحة ، عرضها كافٍ نسبياً ، وقد نجت بأعجوبة من التصدع اثنان منهم ، مسلحان ، يهددان الثلاثة الآخرين ، الجامدين ورافعي

اليدين على خطوات الفراغ : غارسيا ، ويسلي دي ڤرغارا ، ومجهول طويل القامة ، فظ القسمات لا ارتياب في هنديته ، رغم شعره القصير والأشقر الفضي .

كما حصل للمحامي في مرآب النادي ، يفرض التماثل نفسه علي حتى قبل أن يقبض نلسون على ذراعي .

ويللتغتون دي ڤرغارا ، ص ا ساتورنينو يغمر بنفس النظرة نلسون ، الذي يتوصل إلى أن يسيطر على دهشته ، والرجلان الأشقران على عشرين خطوة منا ؛ هو الآخر يفهم الوضع .

أحد المسلحين هو ميدينا ؛ عرفته فوراً ، رغم أني رأيته مجانباً . لم أعرف الثالث . استشير بالنظر ساتورنينو ونلسون ، ويجيباني بإشارة نفي من رأسهما .

بطريقة أو بأخرى ، وقع الأخوة ڤرغارا في الكمين . ميدينا وشريكه ينتظرانهم في الأعلى قبل الموعد .

لبث رفيقاي بعيدين ليستخدما السكاكين بفاعليه . لم يحترس القاتلان أبداً : لقد كونا ولا بد ذات الحكم الذي تكوّن لدي . من يستطيع تخمين مكان اللقاء . . . . مكان الكمين؟

بينما أجهد نفسي في التفكير بإيجاد وسيلة للتدخل ، يسحب ساتورنينو شيئاً ما من سترته الرثة . باديء بدء أعتقد أنه سحب مزماره ، لكن شكل ذلك الشيء يختلف : كان في يده سبطانة . ومن جيبه أخرج طلقة رصاص ودسها في الأنبوبة . وبلمحة ، طلب منا الاستعداد . يأخذ نفساً عميقاً ، ينقل سلاحه إلى شفتيه ، ويسدد بمهارة شيطانية ، فتصيب الطلقة ميدينا قرب عينه .

بعد صرخة من الألم ، يدير القاتل سلاحه ؛ يقلده شريكه مرتكباً الخطأ ذاته . وفي الحال ينقض نلسون عليهما ، سكينه في يده .


B PILORGET

لدى المحامي أفكار ابنه الجيده ذاتها؛ وفي حين يجمد المحامي والصحافي في مكانيهما، يهاجم ڤرغارا خصمينا. وبلمح البصر ننخرط في المعركة. انتزعنا سلاح القتلة، وبعد أن أرهقا تقريباً، انتقلت اسلحتهما إلى يدي الأخوة ڤرغارا.

ويكشف غارسيا بابتسامة عريضة عن أسنانه الحيوانية (أسنان الحصان) ويقذف كلمة بارتياح ظاهر:

ـ مرحى لكم أيها الصغار! في المرة الثانية عندما أقوم بمهزلة كهذه وفي مكان كهذا، سأتزود على الأقل بثلاث رمانات في كل جيب! وأقول إني غير مسلح!

يرتمي نلسون بين ذراعي أبيه. وقد طارت عجرفته، يبدو كمن سيجهش بالبكاء، ويتمتم:

ـ هي. أنت حي؟ كيف؟

سأوضح لك. لكن. . من هما هذان الصبيان؟

يتدخل غارسيا:

ـ لو ننزل ونحن نحرس هؤلاء السادة أمام عيوننا؟ أبدأ معاناة الدوار.

ـ معك حق، هيّا.

تحت تهديد المسدسات، يتقدم القتلة نحو المصعد. يحرسهم المحامي وأخوه، يلتصق نلسون بأبيه، منفعلاً بهذا اللقاء العجيب. ثم يأتي ساتورنينو. آخر الجميع، يرميني غارسيا بنظرة صداقة.

ـ هذه المرة، أنت من يصل في الوقت المناسب.

ويزلق يده اليمنى في جيبه. وقبل أن ينهي حركته، أسارع



إليه، محني الرأس. يتلقى ضربة سوط عنيفة، يترنح، يتراجع خطوات إلى وراء. لم أدعه يستعيد قواه، أضربه بكل وحشية استطيعها. وفي نهاية السطيحه، يحاول يائساً استعادة توازنه، لم يستطع، ويهوي في الفراغ ويتحطم. فقد ارتمى من علو عشرات الأمتار.

يتأملني الآخرون بدهشة مرتعبة. لحسن الحظ، يحافظ المحامي على برودة دمه ليبقي ميدينا وشريكه تحت تهديد السلاح.

أواجههم وبصوت مرتعش أقول:

- كان هو الرئيس. وهو مسلح، وسيجهز علينا جميعاً.

- أنت مجنون!

أطبق عيني، شاعراً بانهاك مطلق.

- لننزل وسترون أن مسدسهُ في جيبه. مع ذلك، انظروا إلى هذين الرأسين، أمامكم. وهذا يكفيكم برهاناً...

قسمات القاتلان مشوهه. يسألهما الكاتب بهدوء:

- هل يقول الفتى الحقيقة؟ فيما يخص غارسيا؟

لم يتردد مدينا لحظة:

- نعم.

# التعليل

**الخامس والعشرون من تموز**

نحن في شقة الريغورما. ال ڤرغارا، ساتورنينو كروز وأنا.

كان الرابع والعشرون من تموز يوماً منهكاً. توجب استنفار الشرطة. تسليمها ميدينا وشريكه. وجثة غارسيا. ثم متابعة المفتشين.

دام التحقيق يوماً كاملاً. كان رجال الأمن شرسين معي، يكرهوني على تكرار وبدقة كل من عباراتي تكراراً مطولاً. الأغرب هو أني، وأخيراً، صرت قاتلاً فعلاً. . .

كررت ايضاحاتي لأراندا ألف مرة. وهو يفتشني، وجد معي الصفحات التي كتبتها في الفجر، في المبنى السري. وفرض علي أن اسلمه يوميتي، التي انتزعتها من مخبأها.

أخيراً تركني فعدت إلى بيتي حقيقة.

بفرحة كبرى استقبلني جوانجو ولوزيللو، وعانقني أبواي. لكنني لحظت أنهم ينظرون إلي نظرة غريبة: بخليط من الدهشة، الحيرة وحتى الخوف. أملت أن تنقضي هذه التجربة بالنسبة لهم بسلام.

في الغد، مرّ المحامي وأخذني بعربة. يرغب هو وأخوه، بدورهما، سماع شروحي.

ساتورنينو جالس في زاوية؛ أُعدتْ له غرفة قبل سفره إلى الجنوب.

كـان النهـار أيضـاً طويلاً لدى آل ڤـرغـارا . عـقـد ويللنغـتـون دي ڤـرغـارا مـؤتمراً صحفياً . تعلن الصحف والتلفزيونات في العالم أن الكاتب الشهير لم يمت ، لكن حكومة بلاده تطارده ، وابنه الصغير ، ككلاب كلبانه . «قضية ڤرغارا» تصير فضيحة دولية تصون سعتها الكاتب وأسرته من اضطهادات جديدة .

التأم الشمل في الغرفة ذاتها . ويللنغتون ، ويسلي ونلسون يشبهون ثلاث نسخ عن أصل واحد ، بأعمـار متبـاينة . كـان سـاتورنينو منطوياً على نفسـه ، صـامتـاً وأخرس ، بدائي الهيئة بشكل فريد ، بلبدته السوداء وثيابه الرثه ، يبدو الآن بغرابه بعيداً عن نلسون والسيدين ڤرغارا الآخرين .

يستنطقني الكاتب :

ـ حسناً بابلو . كيف فهمت ما جرى؟

ـ وأنت كيف أعلن موتك؟

ـ هربت أثناء ترحيله ، مثيراً حادث سياره مروعاً . اعتقدوا أني مت فعلاً . فلفقوا حكاية الأزمة القلبية أمام الصحافة الأجنبية . وصلت المكسيك . لم أشأ أن أعلن أني حي . أملت أن يحرر موتي ولدي نلسون ، الذي اعتقدت أنه سجين .

في العاصمة ، مكسيكو ، اتصلت بأخي بالهاتف . قال لي إن أعداءنا يراقبوننا وعلينا أن نلتقي سراً . كان لدى غارسيا فكرة عن برج جواريز ؛ وبالطبع كان يخطط «الحادث» يخلصه منا .

ويتدخل المحامي :

ـ لقد وثقت به ثقة تامة ؛ هناك ، كـان يعيش كرفيق ليس موضع ظن ، مطارداً مثلنا . . . سلمته نسخة من مفتاح بيتي ، لاستخدامه عند الأزمة ، ولقد أتى معي ليكون ويللنغتون في حمـاية كـاملة . . . لكن هؤلاء الناس ، الخطرين ، كـانوا بانتظارنا . ومع ذلك تابع ، بحذر ، تمثيل الملهاة . كان يجب أن ينجح .

ـ كيف فهمت هذا؟ يكرر الكاتب.

ـ لقد كذب، مرتين. قال إن غوميز حدثه عني، أني أملك المفكرة. وأنا أعرف أن هذا محض افتراء. لأن غوميز كان يقدر أن يقول أي شيء قبل اغتياله. فضلاً عن أنه لا يناديني «بابلو» كما ادعى غارسيا، بل «ليماس». . . إذن كذب غارسيا. . . لكنني لم أفهم على الفور. لم أعد أفكر بالأمر. ثم، في أعلى البرج، ادعى أنه أعزل، غير أنه لما انقذني من ميدينا كان لديه سلاح، وفي وضح النهار! فكيف يمكن الاعتقاد أن يكون غير مسلح، وهو يقوم بمهمة غامضة من هذا النوع؟

تحققت أنه يمثل كوميديا، وأن ميدينا لا يهدده في شيء. ولما احتال ليبقى خلفنا ومد يده إلى جيبه، انقضضت عليه.

يلاحظ نلسون.

ـ أنت نفسك تسلم أنه أنقذك.

ـ كان هجوم ميدينا حيله. فهو يعرف أن ليس لدي مفكرة: بل أمره غارسيا أن يخيفني لأتصرف تصرفاً أحمق فتزداد شكوك الشرطة. لكن ميدينا يتعاطى الحشيش؛ واغتياظاً من مقاومتي، سيقتلني نهائياً. كان غارسيا يترصده؛ أرادني أن أبقى حياً. فاضطر لجرحه، وهكذا يربح ثقتي. في النادي، كنت أجده لطيفاً.

ـ لماذا الحفاظ عليك حياً؟

ـ أدفع عوضاً عنه ثمن اغتيال غوميز.

ـ هو الذي قتل غوميز؟

ـ نعم. وقد اعترف هو نفسه أنه وصل تماماً بعد الموت. في الحق، كان هذا. . . تماماً قبل الموت؛ كان غوميز يثق به.

ـ ما الهدف؟

ـ سيدي ڤرغارا، أنت تعرف أن المفكرة مع غارسيا. وهو يريد في وقت واحد تدميره والحفاظ على ثقتك. فتصور إذن أن يوحي أن غوميز هو من «سرقها». ثم، قتله، لئلا يحكي شيئاً. ولما ارتاب رجال الأمن بي، أفاد من هذا. واخترع هذه «الكلمات الأخيرة»؛ وأنت اعتقدت أني المجرم.

ـ وفالادار؟

ـ كستيللو يعمل لصالح غارسيا؛ وفالادار ناشر كتبك، يسعى لمساعدتك. وما دمتُ بالنسبة لهم المجرم المثال، استغل هذا، وقتله أيضاً: تخلصاً من خصم، وقرينه أخرى ضدي. ثم، تنازعا اضطراراً، لأن كستيللو صار مزعجاً مثل غوميز...

ـ ولماذا يقع القتل عندي؟

ـ المفاتيح مع غارسيا. جرهُ إلى هنا ليعرّضك للشبهه. من كان يريد إنقاذي من الشرطة، أنت أم هو؟

ـ أنا. أريد حتماً أن أسألك؛ فقد أخطرني صديق من رجال الأمن على الفور بموت فالادار.

خاف غارسيا من اطلاعك على الأمر. فيجب إحراجك. وكانت خدعه مداليه أخيك (بنفس الأحرف التي تحملها) التي رتبها كستيللو بوضوح.

يتنهد الكاتب.

ـ لقد انتزعوها مني في السجن...

ـ المداليه، وكستيللو ميت عندك. فكنتَ. . . «حلّهُ البديل» بعدي. كان يجب اخفاؤك فيحكم انك المسؤول عن اغتيال كستيللو.

ـ لكنك لم تستطع التفكير بكل هذا البارحة!

ـ لا! بل في أعلى البرج، تحققت فقط أنه كان يكذب، وأنه سيقتلنا. ثم، فكّرت طويلاً، وأفدت من اسئلة رجال الأمن. ووجدت الأجوبة.

ـ لكن. . . إن خدعت، أتقتله بدونما سبب؟

أخفض رأسي.

ـ نعم. . . لكن في اللحظة ذاتها. . . في اللحظة ذاتها، سارعت. . . . منذ أسبوع، كنت غير قادر. لكنهم لاحقوني، طاردوني. . . في كل يوم كل شيء يسرع، والخطر يحدق. فلو أخطأت، لصرت مجرماً. بالفعل، لم يكن لدي بينات مطلقة، آنئذ. . . كان الأمر قبيحاً، قبيحاً فعلاً. . . .

ألتفتُ إلى ساتورنينو، المنطوي في زاويته، المختلف عنا كثيراً، أثار شغفي. تساءلت: أيفهم تعليلاتي؟

لقد قلت لي ألاّ بد للمرء من الإيمان بشيء ما، أي شيء، حتى لو كان اعتقادك عبثاً. وأنا، البارحة، اعتقدت أني قبضت الحقيقة.

لم يرد. لم أضف شيئاً؛ كما في المساء، بعد موت غارسيا، أحسست بتعبٍ مهلك. يلاحظ الكاتب:

ـ رغم كل شيء، كانت استنتاجاتك، متميزة جداً، بابلو.

آلياً، أتمتم.

ـ نعم. . . شكراً.

لكن في الوقت ذاته، أستعيد رؤية المشهد، العتمة، السطيحة. . . هل فكرت فعلاً، فيما فعلت، بالنتائج. . . بالاستنتاجات المبهمة التي جعلتني أشك بغارسيا. . .

حلّ الليل، خفت، المدينة الواسعة تحتنا. ليس صحيحاً أن مكسيكو مدينة الجان، حتى في الليل، كما كنت قد قلت في أسفل البرج.

الناس يخافون من بعضهم؛ خوف من اللصوص، من العسس الذين يدخلون أحياناً الأمكنة المهدمة، ومن سكان الأحياء الو ضيعة.

في سان رافاييل، الكهرباء نادرة، خافتة. مصباح من حين إلىٰ آخر؛ في أكثر الأحيان تتحطم الحبابات. لا أحد يخرج من داره. بعكس هذا، في أحياء الأغنياء، يرتابون بنا. . . . يبقوننا بعيدين، بعيدين عن حدائقهم الغنَّاء، ما استطاعوا. أما في الليل، يتصورون أننا نكمن لهم. أننا نستعد لنهبهم، لذبحهم. وفي قمة البرج المدمر، ربما اجتمعت كل هذه المخاوف التي تحوم فوق مكسيكو، وصعدت نحوي.

وأنا أيضاً، أخاف. من الشرطة، من مطارديّ. . . . وما بدأت أفهمه، ولا أجرؤ على البوح به للسادة ڤرغارا، هو أني الآن، خضعت لحركة عمياء، لتحريض وحشي، لا رقابة عليه. . . . لا تشكل شكوكي إلا ذريعه. أنا بحاجة، نعم بحاجة للدفاع عن النفس، أن أرمي غارسيا من شاهق، وبسبب هذه الأيام التي قضيتها هارباً، وهذه المخاوف المتراكمة. كنت مقبوضاً بنوع من الجنون. . . .

ـ ماذا ستفعل الآن؟

أتردد. إنهم أغنياء كبار؛ إنها السانحه، المعجزة، لن أبقى نكره لا أساوي شروى نقير. صبياً رث الثياب من مدن الصفيح. لكني أخجل، فاهشّ كتفيّ.

ـ أوه، أتابع، ما دام سانتيني يقبلني من جديد. . . فقد انتهت أيام الدراسة. وأنت؟

ـ سنرحل إلى فرنسا. أخت زوجتي تنتظرني في باريس.

أدير ظهري، وكأنهم خرجوا من حياتي.

ـ وأنت ساتورنينو؟

ـ سأرحل أيضاً....

لم يتحدث عن مزرعته، لكني أفترض أن السادة ڤرغارا يتمسكون بوعدهم. على كل حال، لا فرق عندي؛ فلست أبغي سوى شيئاً واحداً: أن أرحل من هنا، أن لا أراهم، أن أعود إلى حياتي السابقة، إلى كوخنا الصفيحي.

أنهض، أودعهم وداعاً عبيطاً. أشعر بأني بائس. هذا الانطباع عن تبذير حظي، عن سلوكي كصبي شقي، واستحقاق الصفة التي تنتظرني. أرغب في الهرب. ابر طم كلمات الوداع الغامضة، وأبرح المسكن.

* * *

# اليومية

**الثاني من آب**

رجعت إلى عملي في المنتدى.

ليس من السهل العودة إلى الحياة العادية لأن الخطر لا ينقصني بل لدي الاحساس أني عدت صغيراً، منطوياً على ذاتي.

أنا مكتئب، أفتقد الدافع. أعود إلى بداية قراءة يوميتي: أحس أني أكثر صلابة ونضجاً مما كنت عليه في أول الصيف، لكن، ما نفع هذا؟

في هذا الصباح، أتذكر مداليه ويللنغتون دي ڤرغارا. لقد نسي استعادتها وأنا مصمم أن ارجعها له قبل سفره. أعرف أن السادة ڤرغارا غادروا الشقة في الريغورما إلى فندق فخم، قريب من هنا.

أطلب محادثة الكاتب، بعد ارتدائي أنظف ثيابي الباليه. أنتهى موظفو الاستقبال إلى إرسالي نحو الحدائق.

بدقة، يصور التلفزيون فيلماً عن ڤرغارا. أُترك لشأني في زاويتي.

الحديقة واسعة، بهيجة، تغمرها الشمس. هناك صحفي يقدم ڤرغارا بتعابير طنانة، يذكر بعمله، ومعاركه وهربه. ثم يتركه يتحدث. ويعلن ڤرغارا أنّه سيقطن من الآن فصاعدا باريس، حيث ينهي كتابهُ القادم.

- سترافقك الأسره؟

ـ نعم . ويقوم بحركة تشمل الصبيين القابعين خلفه . لم أكن قد لحظتهما نلسون ، المرتدي سروالاً مادياً ، وقميصاً نصف دائري ابيض وسترة قطنية زرقاء كالبحارة . وساتورنينو ، يكاد لا يعرف . بحذاء هندي وسروال أسمر فاتح ، وقميص أبيض ، وسترة بلون الأوراق اليابسة . ثيابه تلائمه تماماً . ابتسامة غامضة ، مضطربة بعض الشيء ، على شفتيه . ينظر من حين إلى آخر إلى السيد ڤرغار وإلى آلة التصوير ، بشيء من حب الاطلاع والدهشة .

انتهت المقابلة ؛ . ڤرغارا ينظر إلي ، يقترب ، يشد على يدي . أعيد له مداليته وأسناني تصطك . أتذكر بغموض رغبتي في التعرف عليه . ذكرى بعيده . وهو ينظر إلي بانتباه .

ـ كيف الحال؟

ـ جيد جداً ، سيدي .

ـ وعملك؟

ـ لا بأس . تعاقدوا معي معتبرينني جيداً كسبت الكثير من البخشيش .

ـ حسناً . أتريد أن تتحدث إلى صديقيك؟ أتركِكم وحدكم .

نلتقي في بهو فخم الأثاث . حيث يسود صمت متعب . ساتورنينو ونلسون يجلسان بعيداً عن بعضهما ما استطاعا ، بعد أن تبادلا نظرة سوداء .

أقارن ثيابي بثيابهما ، يتأكلني الحسد . أتمتم :

ـ أأنت . . . . فرح بالذهاب إلى فرنسا ، ساتورنينو؟

ـ سنرى . . . .

يبدو حالماً ، تائهاً غائباً . . . . لكنه صامت أبداً . وأفلت نلسون ضحكة الهازيء المهين .

ـ يجب أولاً أن يعرف أين تقع فرنسا . ربما اعتقد أنه بالامكان الذهاب إليها سباحة . . . .

أرد بحيوية :

ـ بالتأكيد . وأنت ، ستذهب إلى هناك تزلجاً بحرياً ، كما أفترض؟

ـ لكلٍ أفراحُه ، أنت ، لك . . . . مسبحك ، وكرات المضرب . . . . . شيء يشغلك فأنت تجيد هذا ، لا؟

أعض شفتي ، التفت إلى ساتورنينو ، الذي يقلقني صمته الأزلي . أنا من اكتشف المؤامره ، ومزقت القناع الذي لبسه غارسيا . أستطيع أن أفهم الساده ڤرغارا ، وأحكي مثلهم . وهو ، هذا النوع المقدود من كتلة حطب ، يسافر ! ماذا ينفع أن أجيب نلسون ، أن أدلّه أني خبيث مثله : على كل حال ، كان ساتورنينو صاحب النصيب الأكبر . أقول إني اشفق على مظهره البائس ، وسترته البشعة وقدميه المشققين وخيوط ثيابه المقطعة والمصنوعة من أرخص الأنواع .

نفثة من الغضب تصعد إلى وجهي . على الأقل ، آمل أن يكره أحدهما الآخر . نلسون سيعرف كيف يجعل حياة «ابن عمه» القديم مستحيلة . ليس لنا سوى الانتظار . نلسون ، الهر ، مداليته في رقبته ، وجدوده في جيبه ، وعيناه الخضراوان ، نصف ـ المغلقتان صامت حقداً واحتقاراً . وساتورنينو ، الذئب الذي يجاهد خفيةً كي يبدو مرتاحاً في ثيابه ، في هذه الحجرة الفخمة ، وفي حياته الجديدة يعود ڤرغارا . وفي الحال يدير الصبيّان نحوه ذات الوجه النحاسي ، القلق والسعيد . لم يبق لي سوى الذهاب من هنا .

فيما بعد ، في بيتنا ، أنظر بمرارة إلى البيئة البائسة حيث علي أن أتابع الحياة . فأبي بثيابه المغطاة بالجبس . وأمي ، فخورة بحصولها على رصيد جديد في البقالية . وجوانجو ولوزيللو ، وعيناهما الغارقة ببخار البنزين .

يثقلون علي . أكرههم . إنهم يسجنوني . إنه لإحساس مخيف ، مخجل ومؤلم أيضاً . . . . . إنهم يخنقوني .

**الخامس من آب**

**العمل، النادي....**

بطريقتي اشتهرت. هؤلاء السادة يهنئوني، وأولاء السيدات يتأملنني، وهذا الشجاع سانيتني يشرح للصحافيين أنه كان دوماً واثقاً بي: «بابلو؟ إنه فتى مرموق؛ أعرف هذا منذ أول يوم عمل».

ينظرون إلي كما لو كنت بهيمه تثير الفضول، بين غطستين، مباراتين بكرة المضرب، ودورتي بريدج. بالنسبة لهم، صرت تسليتهم. وعندما ينفرون من راحتي، يرسلوني إلى عملي: التقاط الكرات من الزوايا، وعلب السيكار أوجلب كؤوس الخمرة البيضاء بسرعة.... يغرقوني بالبخشيش وبما أن رفاقي القدماء قد اختفوا من الساحة فأنا احتفظ بكل شيء للبيت.

شيئاً فشيئاً، نسي أهلي ما حدث. البخشيش يضاعف أجري، وهم لا يطلبون أكثر.

أما أنا، يزداد كرهي للنادي كل يوم. ففي مكان كل من الصغار الذين يتمخترون على ضفة الماء، أتصور بسهولة، بسهولة تامة، نلسون أو حتى ساتورنينو.

أفكر بهذا باستمرار. عندما أشاهد التلفزيون، يصير كل إعلان، عذاباً لي.... فلبيع صابونهم أو حتى آلة الغسيل، يستخدمون الأمكنة الأكثر أسطورية: الجزر الإغريقية، فلوريدا، فينيسيا، وغياب الشمس في وسط المحيط الهاديء... بواسطة كمية كبيرة من أشجار البلح، والصبايا الحلوات، والجنائن المغطاة بالأزهار.

مع ذلك.... ليس ثمة ضرورة للذهاب بعيداً. فكل هذا يحدث هنا، في النادي في متناول اليد. لكن من أجل الغير.

في اليوم الأول، عندما رأيت ثانية السيد ڤرغارا في الفندق، شعرت بتمرد وحشي. والآن اختلف الأمر. أشعر بأن جرذاً اوسرطاناً يقضمني قطعة قطعة. وإن توجب تحمل هذا يوماً أو يومين، وحتى بعض الأسابيع.... بل الأشهر والعام



كله، وأطول أيضاً. . . . إن كل حركة من حياتي اليومية تأخذ طعم المرارة. أن أبسم لأناس أكرههم. أرتب كراسي طويلة لن أجلس عليها أبداً. وأن أفيدمن الهواء النقي، من الأشجار، من المروج، وأن أتذكر أن هذا لم يصنع من أجلي. . . . في الحق، أنا من فعل هذا، وصنع هذه البيئة، لهؤلاء الناس.

أكثر ما يعذبني هو أني مكره على التظاهر بالغبطة بالأنس والغاعلية. فأشعر. . . بأنني شبيه ببقعة شحم على قيمصٍ نظيف، أو بين صغار في حديقة غناء. وأكثر من هذا فأنا أرغب في أن أرمي القيمص في القمامة، أو أن أخرب الحديقة.

## السادس من آب

البارحة، كتبت هذه الأشياء، بصدد النادي. وأنا أكتبها، وددت. . . . وددت تحويل الأمنية إلى فعل، أيضاً. كما لو كان اعترافي بأفكاري لنفسي يدفعني لتحقيق هذه الأفكار.

في هذا المساء، بقيت في النادي إلى ما بعد ذهاب الآخرين. لا أحد يتبين شيئاً. أنا وحدي تماماً. الحارس الليلي، السكير، يغادر المكان ما أن يدير السيد سانتيتي ظهره.

أقف في وسط المشرب، يعاودني التفكير بنلسون، بساتورنينو الذي سينسى قريباً ماذا تشبه علبة مسح الأحذية، ودراهم آل ڤرغارا. . . في مدن الصفيح.

في يدي ولاّعه. أضع النار في المشرب. ثم أدخل إحدى القاعات وأطرح قطع النسيج المشتعلة في كل مكان.

انتظر، اللهيب يمتد، يكبر، يهاجم الجدران. أحس السعادة، تتبدد مرارتي مع اشتعال السجاجيد، والصور والأثاث. لو أمكن حرق المدينة كلها هكذا. . . لكن، وبسرعة، يتناقص اللهب، يلتوي ويهمد. وينطفيء الحريق من تلقاء نفسه.

أجمد في مكاني تماماً، لا أسعى إلى إحياء النار. احترق أثاث غرفتين، أما النادي، هذا الحي، للأسف بقي سليماً. ما الخير في هذا؟

آنئذ، أذهب إلى ضفة المسبح.

الطقس قائظ، رغم العتمة. الليل ثقيل، خانق. أحس نفسي دبقاً، مشحوناً بخيبة الأمل وانقطاع الرجاء؛ وهذه الحرارة التي تضغط على صدري تمنعني من التفكير، وتزيد اضطرابي.

أشلح ثيابي، وأغطس. أسبح في الظلمة، في المياه المحرمه علي، خلال ساعة ونيف. أجهد نفسي لئلاّ أفكر بشيء، وأن أذوب في الظلمة، في السكون الذي يعزلني عن باقي المدينة.

أخرج من الماء هادئاً. أشعر بأني أحسن. لقد أفدت ولو لمرة واحدة، من مسبحهم.

**الخامس والعشرون**

**من تشرين أول**

لم أكتب شيئاً خلال ثلاثة أشهر تقريباً. لا جديد. اعتبر الحريق حادثاً طارئاً. أتابع العمل في النادي. صرت خادماً جيداً، أرباب العمل راضون عني.

في هذا الصباح، تلقيت طرداً صغيراً، من باريس. في داخله رسالتان وشريط تسجيل.

الرسالة الأولى من نلسون

عزيزي بابلو

ينصحني أبي أن أكتب لك.

نحن نقطن في شارع يشرف على واحدة من رياض باريس، اللوكسمبرغ،

الواسعة جداً، لكنها اضيق من حديقة شابولتبك، لقد هيأت عمتي كل شيء. هي وويسلي يسكنان قريباً منا.

في البداية، لم يكن هذا سهلاً، بسبب ساتورنينو.

لما كنت صغيراً اشترى لي أبي كلباً. كنت قد بكيت أشهراً حتى حصلت على هذا الكلب. في الليلة الأولى، تشمم كل الزوايا. فهمت جيداً أني لن أستطيع طرده، وأن علي احتماله دوماً. وتمنيت أن أقتله. بالنسبة لساتورنينو، كان الأمر مشابهاً، وأسوأ. فأنا لم أبكِ للحصول عليه.

الآن، تحسن الوضع. ليس سهلاً الاعتياد على اروبا، على فرنسا بخاصة. فالناس هنا يعتبروني أبله أو وحشاً، فأنا أختلف كثيراً عنهم. سومرست وويرويك صبيان طيبان، لكنهما صغيران جداً. أبي مشغول جداً: الراديو، التلفزيون، وكتابهُ الجديد. لذا، أقضي وقتاً طيباً مع ساتورنينو. أساعده في تعلم الفرنسية. نخرج سوية، بعربة صغيرة.

بإمكاني أن أقص عليك ما في فرنسا، بخاصة الناس، في الرسالة القادمة. لم اعتقد أني سأفتقدك إلى هذا الحد. يبدو أنك آتٍ إلينا، والدي يحدثك بالأمر. والآن، إلى لقاء قريب.

نلسون

من أجل الكاسيت، استعرت مسجلاً من أحد أبناء الاليفار. تعرفت صوت ساتورنينو الهادىء.

«بابلو، أهذا أنت؟ صباح الخير. لم أكتب بعد كثيراً، لذا استغل هذا لانطلق بسرعة. تذكر، تجادلنا قبل البرج. أنا آسف لسفري دون أن اتحادث معك. نلسون على حق: ليس سهلاً علي أن أقول الأشياء بأسلوب جيد مثلك. يجب التعلم. أعيش وحدي، كحجر.

كل شيء تمّ على عجل. يريد ويللنغتون فعلاً أن يشتري لي مزرعة، لكنه شرح لي أنهم سيسلبونها مني مرة أخرى. عرفت أنه محق، فلست سوى فتى. لذا عرض علي السفر معهم. ترددت، آمنت بالتقلبات التي تحدثوا عنها. لكني، مع ذلك، قبلت. أخيراً، هو لطيف معي. وهم يدعونني نينو؛ الطفل سومرست هو الذي ابتكر هذا الاسم. لكني لم آلف أسماءهم.

أتأسف المزرعة. أعمل لأن تكون الأمور كما كانت هناك: بهدوء، الواحد بعد الآخر. لم يمضِ وقت طويل حتى أتعلم الكتابة فعلاً. يساعدني نلسون. في البداية، كان يكرهني، أما الآن، نحن متفاهمان. ويللنغتون يساعدني أيضاً. يقضي معي وقتاً طيباً. قراءتي خير من كتابتي، ولقد بدأت بواحد من مجلداته، لأرى. إنه صبور، وهذا خير من البقاء وحيداً، حظي جيد. إلى لقاء سريع، أليس كذلك؟»

## الرسالة الثانية من الكاتب

عزيزي بابلو

أنت تذكر ولا بد أنك اطلعت الشرطة على يوميتك. ولقد نسخها المفتش اراندا وضمها إلى مصنفاته. لقد حدثني عن هذا، اردت أن اراه من قبيل الفضول، وبدوري، نسختها.

مهنتي الكتابة، لكنها أيضاً معرفة وفهم الناس. والآن بعد أن قرأت يوميتك، اغفر لي إفشاء السر، فقد أردت أن أساعدك بالطريقة التي تناسبك فعلاً، ليس فقط بالنقود. فضلت الانتظار: عندي فكرة.

أحسست بغيرتك العميقة من سفر ساتورنينو معنا. وفي بلادي، حاولت مساعدة أناس لا أعرفهم. أما ساتورنينو، فأنا أساعد فتى أعرفه فعلاً. إنه لطيف معي، وليس له أحد في هذا العالم. الآن، هو ونلسون صديقان حميمان. لكن هذا لم يتمّ بسهولة.

أعود إلى فكرتي. نقرت يوميتك على آلة الكتابة، دون تغيير أو تعديل. بل اكتفيت بتوزيع قصتك إلى فصول، ومنها آخذ عنواناً لكل فصل.

أرسلتها إلى اثنين من ناشريّ، في اسبانيا والمكسيك، إلى واحد من شركاء تعيس الحظ فالادار. وقبلوا نشرها.

ستقبض حقوقك كمؤلف. ليس المبلغ كبيراً، بل مبلغ مناسب. وستنال منحة لمساعدتك بمتابعة دروسك. ولأخويك أيضاً، في وقت لاحق: إنها إحدى مواد العقد.

أنا لا أستبق الأحداث وأحدس أنك ستصير كاتباً، لأن هذا يدل على بلاهتي. لكن المغامرة التي كلفتك غالياً ستترك لديك ذكرى خاصة جداً: كتاب. إن قبلت، سأرسل لك عقوداً يتوجب على ابيك أن يوقعها أيضاً.

منحتك مقابل نصك، وليس من جيبي. تستطيع إذن استلامها بدون منّةٍ من أحد.

وعند بدء العطل المدرسية، آمل أن تقبل المجيء إلينا: والرحلة ستكون هديتي الوحيدة. نلسون ونينو يتحدثان عنك كثيراً، وسيبتكر أحفادي كل مساء مغامرة جديدة لبابلو، المخبر السري العبقري.

وبما أنك قرأت كتبي، يسعدني أن أطلعك بأقرب وقت على كتابك. مع كل محبتي.

ويللنغتون ڤرغارا

فكرت طويلاً، لم يتبدل شيء فعلاً: أعود إلى المدرسة، لكن على أن ابقى في سان رافاييل.

أعرف أني لفترة قصيرة. وإن دعى الأمر سيساعدني السادة فرغارا الآن أهرب من مدن الصفيح، ساحباً ورائي لوزيللو وجوانجو، لكن أستطيع قبول مساعدتهم: فبالنسبة إليهم لست متسولاً.

كل منّا جنى شيئاً هاماً، لكنه دفع الثمن. التقى نلسون أباه: لكن عليه أن يقبل من يشاركه به. وعاش ساتورنينو مع الساده ڤرغارا؛ ولكنه تخلى عن مزرعته. وأنا سأتابع دراستي، أحاول أن أعيش عيشه أفضل، لكني أبقى أسير حي الصفيح. وحتى ڤرغارا، الذي نجا من الموت، لن يستطيع أن ينتصر فعلاً: فهو ليس سوى منفي وغارسيا فرق المفكرة الثمينة. فلن يقدر أن يغير شيئاً في بلاده.

وإذن، أضيف هذه الصفحات إلى يوميتي، لكي يتيسر لڤارغار أن يؤلف فصلاً آخر.

## بول تييز ـ المؤلف

من مواليد ١٩٥٨ ـ ستراسبورغ . عاش في المهجر عشر سنوات : بونس ايرس ، مدريد ، طوكيو . ربما علل هذا الترحال السجيّة الحيوية لشخوصه الذين لا يلائمهم بشكل عام البقاء في مكانهم .

يقطن الآن في باريس لكنه يحب دوماً المحطات ـ سكة الحديد ـ والمطارات . حصل على «جائزة الكتاب الكبرى» لقاء كتابة لشبيبه ١٩٥٨ الذي ميزته وزارة الشباب والرياضة من أجل «علي بصورا اللص العبقري» الذي نشر في سلسلة «معلمو المغامرات» .

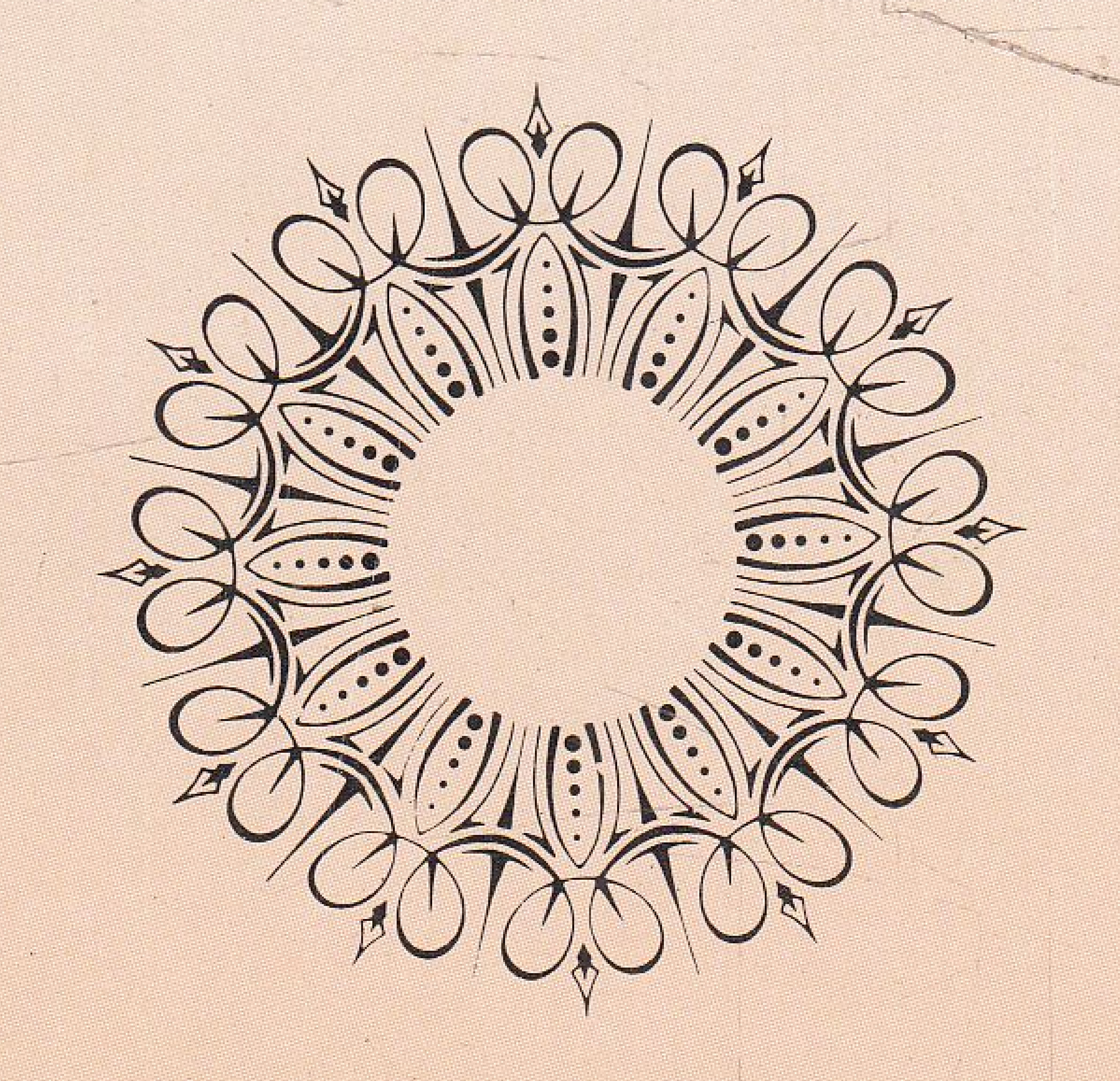
## برونو بيلورجت ـ الرسام

من مواليد ١٩٥٨ في فانس ، ببريطانيا . يقيم في باريس منذ خمس سنين بعد قضاء عامين في كلية الفنون الجميلة في لوريان ، نذر أن يمارس ويعيش هوايته وهي الرسم وكل ما يتعلق بإعداد الكتب للنشر ، وكان أستاذ نفسه . أعد رسوم عشرة أعمال لدى عدة ناشرين . وعمل أيضاً في الإعلان والصحافة .

والموسيقى ، التي ترافقه أثناء عمله المتعب في إبداع رسومه ، هي هوايته الثانية . لكن الحلم ، الذي يأمل تحقيقه يوماً ، هو السفر إلى أفريقيا المترامية الأطراف ، وهو يقود درّاجة نارية .

# الفهرس

٢٥٠٠ط١/١١/١٩٩٩



الطباعة وفرز الألوان مطابع وزارة الثقافة
دمشق ١٩٩٩